إضافة لفظ "الآيات"
للفظ الجلالة وللفظ رب في القرآن الكريم
مواطنها وأسرارها البلاغية

إعـداد

دكتور/ فهمي فهمي زينهم الدرشابي

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين بدسوق- جامعة الأزهر -مصر

١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٤م

ض

إضافة لفظ "الآيات" للفظ الجلالة وللفظ رب في القرآن الكريم، مواطنها وأسرارها البلاغية
فهمي فهمي زينهم الدرشابي
قسم: البلاغة والنقد-كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق-جامعة الأزهر-مصر.
البريد الإلكتروني:
fahmyeldershaby@gmail.com

الملخص:

من الأسرار التي أودعها اللهﷻ كتابه العزيز اختصاص إضافة لفظ (الآيات) مجموعا للفظ الجلالة في سياقات وإضافته للفظ (رَبّ) في سياقات أخرىٰ، ولم يرد إضافة هذا اللفظ لاسم آخر من أسماء الله ﷻ في كتابه سوىٰ موضع واحد.

ومن هنا دعت الحاجة للبحث عن أسرار اختصاص سياقات بإضافة هذا اللفظ لاسم الله الأعظم، وإضافته لاسمه (رب) في سياقات أخرىٰ، ولما كان الأصل في الإضافة أن يكتسب المضاف من المضاف إليه التعريف، كان الأصل الذي دار عليه هذا البحث هو النظر أولا في دلالة كلا الاسمين الذين أضيفا إليهما لفظ (الآيات) وتمايز أحدهما من الآخر؛ ليتبين السر وراء اختصاص كل اسم منهما بالسياق الذي ورد فيه.

وقد تبين من خلال الدراسة أن إضافة لفظ (الآيات) لكلا الاسمين الجليلين جاء موافقا لهذا الأصل تارة، وتارة يوحي بخلافه، ولكن بإمعان النظر اتضح سر العدول عن هذا الأصل.

الكلمات المفتاحية:

إضافة لفظ "الآيات" - للفظ الجلالة - وللفظ رب - في القرآن الكريم - مواطنها وأسرارها البلاغية.

Adding the word "verses" to the word "majesty" and the word "lord" in the holy Quran has its origins and secrets of eloquence

fahumifahmizayanuhumaldirshabi
Department of Rhetoric and Criticism، Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys، Al-Azhar University، Egypt.
***Email**: fahmyeldershaby@gmail.com*

Abstract

Among the secrets that God has entrusted (His Mighty Book) is the specialty of adding the word (verses) as a group to the word Majesty in contexts and adding it to the word (Lord) in other contexts، and this word was not added to another name of God (in His Book) except in one place.

Hence the need to search for the secrets of the specification of contexts by adding this word to the greatest name of God، and adding it to His name (Lord) in other contexts. Since the principle of addition is that the genitive acquires the definition from the genitive، the principle upon which this research was conducted was to look first at its significance. Both names have the word (verses) added to them، and one is distinguished from the other. To clarify the secret behind the specification of each name in the context in which it appears.

It has been shown through the study that adding the word (verses) to both of the two venerable names sometimes conforms to this principle، and sometimes suggests something contrary to it، but upon closer examination the secret of abandoning this principle becomes clear.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن معينا لا ينضب، ودليلا علىٰ سعة مداد كلماته التي لا تنفد، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد..

من الأسرار التي أودعها الله ﷻ كتابه العزيز اختصاص إضافة لفظ (الآيات) مجموعا للفظ الجلالة في سياقات وإضافته للفظ (رَبّ) في سياقات أخرىٰ، ولم يرد إضافة هذا اللفظ لاسم آخر من أسماء الله ﷻ في كتابه سوىٰ موضع واحد، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم:٥٨)؛ ومن هنا دعت الحاجة للبحث عن أسرار اختصاص سياقات بإضافة هذا اللفظ لاسم الله الأعظم، وإضافته لاسمه (رب) في سياقات أخرىٰ، ولما كان الأصل في الإضافة أن يكتسب المضاف من المضاف إليه التعريف(١)، كان الأصل الذي دار عليه هذا البحث هو النظر أولا في دلالة كلا الاسمين الذين أضيفا إليهما لفظ (الآيات) وتمايز أحدهما من الآخر؛ ليتبين السر وراء اختصاص كل اسم منهما بالسياق الذي ورد فيه، فلفظ الجلالة «عنوان القوة والقهر وسعة السلطان، بينما لفظ (رب) يوحي بمعاني التفضل علىٰ العباد والتدبير والرعاية»(٢)، وقد تبين من خلال الدراسة أن إضافة لفظ (الآيات) لكلا الاسمين الجليلين جاء موافقا لهذا الأصل تارة، وتارة يوحي بخلافه، ولكن بإمعان النظر اتضح سر العدول عن هذا الأصل، وهذا ما ستسفر عنه تلك الدراسة بعون الله تعالىٰ.

---

(١) ينظر فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، لمحمد بن أبَّ القلّاوي الشنقيطي، ص٦٣٤، شرح الشيخ: أحمد بن عمر الحازمي، الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠

(٢) دراسات جديدة في إعجاز القرآن،مناهج تطبيقية في "توظيف اللغة"،د عبد العظيم المطعني ص٢٨٩،مكتبة وهبة،الطابعة الأولىٰ ١٤١٧ه،١٩٩٦م

وعند البحث عن **دراسات سابقة** ترتبط بموضوع الدراسة عثرت علىٰ بحث بعنوان: (دلالة لفظ "اسم" مضافا للفظ الجلالة "الله" والرب" في القران الكريم،دراسة موضوعية تحليلية) للباحث: عبد العزيز محمد حسام عبد الكريم محمد،الناشر: الجامعة الإسلامية بغزة،عماد البحث والدراسات العليا.

ومن الصعوبات التي واجهت البحث، نُدرة تطرق العلماء للكشف عن سر اختصاص إضافة لفظ (الآيات) لأحد الاسمين في سياقهما؛ مما دفع الباحث مستعينا بالله للاجتهاد قدر المستطاع للكشف عن هذه الأسرار ما أمكن.

وقد اتبعت الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي القائم علىٰ حصر المواضع التي وردت فيها إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة وجعلها في مبحث مستقل، ومبحث آخر لإضافته للفظ (رب)، ومبحث ثالث للمواضع التي جمعت بين كلا الإضافتين في سياق واحد، ثم تصنيف شواهد كل مبحث حسب تنوع الخطابات التي جاءت فيها وجعلها في مطالب -مع مراعاة ترتبها حسب ترتيب سور القرآن-، وربما جمع الموطن بين عدة شواهد اتحدت في الغرض مع اختلاف السور، ثم البدء ببيان مناسبة كل شاهد بما سبقه، ثم بيان الأثر الذي آثر ورود إضافة لفظ (الآيات) لأحد الاسمين الجليلين، أو اجتماعهما في سياق واحد.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة اشتملت علىٰ مدخل لموضوع البحث وداعي اختياره، والدراسات السابقة، وصعوباته، ومنهجه، ثم تمهيد للموضوع اشتمل علىٰ التعريف بلفظ آية، ثم أردفت المقدمة بثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب النبي (ﷺ).

المطلب الثاني: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب المؤمنين والمؤمنات.

المطلب الثالث: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب المشركين

المطلب الثالث: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب أهل الكتاب

المبحث الثاني: تناول إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب)، وفيه مطالب:

المطلب الأول: إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) في سياق الحديث عن المؤمنين.

المطلب الثاني: إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) في سياق خطاب المشركين

المبحث الثالث: تناول اجتماع إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة مع إضافته للفظ رب في سياق واحد.

ثم ذيل البحث بخاتمة اشتملت علىٰ أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وبعد..

فأحمد الله علىٰ عونه وتوفيقه لإتمام هذا العمل، شاكرا إياه علىٰ ما امتن به وتفضل من فتح شيء من أسرار كتابه أرجو أن أكون وفقت وهديت إلي شيء منها، فإن كان من فضل فمنه وحده، وإن كان من تقصير فمني، وحسبي أن للمخطئ أجر اجتهاده وسعيه لإدراك الصواب، وصل اللهم وسلم علىٰ سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحابته الغر الميامين.

مدخل

التعريف بمادة آية:

تعددت المعاني التي تفيدها مادة (آية) في كتب المعاجم، فذكر ابن فارس أن الآية بمعنىٰ العلامة، وقال الأصمعي آية الرجل شخصه قال الخليل: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ لأنها جماعة حروف، والجمع آي، وإياة الشمس ضوءها، وهو من ذاك، لأنه كالعلامة لها(١)، وذكر أبو هلال العسكري أن الآية هي العلامة الثابتة من قولك: تأييت بالمكان إذا تحبست به وتثبت(٢)، وزاد صاحب تاج العروس من معانيها: العبرة، قال تعالىٰ: ﴿* لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [سورة يوسف:٧]، أي أمور وعبر مختلفة، والآية: الأمارة قالوا: افعله بآية كذا، كما تقول بأمارة كذا(٣)، وفي المعجم الوسيط الآية: المعجزة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٠](٤)، فهذه أغلب المعاني التي ذكرها أصحاب المعاجم، وعند النظر في ورود هذه المادة في شواهد الدراسة سواء كانت مضافة للفظ الجلالة أو للفظ (رب)، يتبين أن أغلبها أريد به

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس،١/ ١٦٩، مادة: أيي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) ينظر الفروق اللغوية، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري ص٧١، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٣) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي ٣٧/ ١٣٤،مادة: أيي،تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٤) ينظر المعجم الوسيط: ١/ ٣٥،مادة: أيي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفىٰ / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)،الناشر: دار الدعوة

آيات الله البينات التي أيد بها بعض أنبيائه لتبليغها لأقوامهم، سواء كانت متلوة كالقران والتوراة والإنجيل، أو حسية كالآيات التي آمن بها سحرة فرعون ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ (الأعراف:١٢٦) وبعضها أريد به الآيات الكونية الدالة علىٰ قدرة الخالق سبحانه، وفيما يلي حصر للمواضع التي أضيفت هذه المادة للفظ الجلالة، وللفظ رب.

وردت لفظ (آيات) مضافة للفظ الجلالة في اثنين وأربعين موضعا في كتاب الله عز وجل، وهي علىٰ ترتيب ورودها في السور كالآتي:

١-قال تعالىٰ: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

٣- قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (البقرة:٥٨).

٤- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ (آل عمران:٤).

٥- قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩).

٦- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران:٢١).

٧- قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ (آل عمران:٧٠).

٨- قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (آل عمران:٩٨).

٩- قال تعالىٰ:﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:٩٨).

١٠- قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:١٠٨).

١١- قال تعالىٰ: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ (آل عمران:١١٣).

١٢- قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ (آل عمران:١١٣).

١٣- قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (آل عمران:١٩٩).

١٤-قال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ﴾ (النساء:١٤٠).

١٥- قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ (النساء:١٥٥).

١٦- قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ (الأنعام:٣٣).

١٧-قال تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ (الأنعام:١٥٥-١٥٨).

١٨-قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (الأعراف:٢٦).

١٩- قال تعالىٰ: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال:٥٢).

٢٠- قال تعالىٰ: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ ﴾ (التوبة:٩).

٢١- قال تعالىٰ: ﴿يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس:٧١).

٢٢- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾(يونس:٩٥).

٢٣، ٢٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (النحل:١٠٣-١٠٥).

٢٥- قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ (الكهف:١٧).

٢٦-قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ (القصص:٨٧).

٢٧-قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾ (العنكبوت:٢٣).

٢٨-قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:١٠).

٢٩- قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (الأحزاب: ٣٤).

٣٠-قال تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الزمر:٦٣).

٣١-قال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾(غافر:٤).

٣٢- قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (غافر:٣٥).

٣٣- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ ﴾ (غافر:٥٦).

٣٤- قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (غافر:٦٣).

٣٥- قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ (غافر:٦٩).

٣٦- قال تعالىٰ: ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ (غافر:٨١).

٣٧ -قال تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (الجاثية:٦).

٣٨-قال تعالىٰ:﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ﴾ (الجاثية:٨).

٣٩- قال تعالىٰ:﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾(الجاثية:٣٥).

٤٠- قال تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الأحقاف:٢٢).

٤١- قال تعالىٰ: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (الجمعة:٥).

٤٢- قال تعالىٰ: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ (الطلاق:١١).

بينما ورد إضافة لفظ (الآيات) للفظ (رب) في ستة عشر موضعا، وهي على الترتيب:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ (الأنعام:٤).

٢-قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ (الأنعام:٢٧).

٣-قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ (الأنعام:١٥٨).

٤-قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ﴾ (الأعراف:١٢٦).

٥-قال تعالىٰ: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ (الأنفال:٥٤).

٦- قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾ (هود:٥٩).

٧-قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾ (الكهف:٥٧).

٨- قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ (الكهف:١٠٥).

٩- قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ﴾ (طه:١٢٧).

١٠- قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ (المؤمنون:٥٨).

١١-قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ (الفرقان:٧٣).

١٢- قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾ (السجدة:٢٢).

١٣- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (يس:٤٦).

١٤- قال تعالىٰ:﴿قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ (الزمر:٧١).

١٥- قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ (الجاثية:١١).

١٦- قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (النجم:١٨).

المبحث الأول: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة

المطلب الأول: (إضافة لفظ (الآيات(للفظ الجلالة في سياق خطاب النبي ﷺ

ورد لفظ (الآيات) مضافا للفظ الجلالة في سياق خطاب النبي ﷺ في سبعة مواضع، وقد تعددت الأغراض التي أفادتها الإضافة للفظ الجلالة في تلك المواطن، وفيما يلي بيان لهذه الأغراض:

١- قال تعالىٰ: في سورة البقرة: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(البقرة:٥٨)، جاءت هذه الآية عقب «القصص التي ذكرها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت، وإظهار الآية التي هي نزول التابوت من السماء، وغلب الجبابرة علىٰ يد داود وهو صبي فقير، ولا شك أن هذه الأحوال آيات باهرة دالة علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ وحكمته ورحمته»(١)، فلفظ (الآيات) في سياق الآية أفاد معنىٰ العبرة، وجُعلت هذه الأحداث آيات؛ لأنها دلائل علىٰ عظم تصرف الله تعالىٰ وعلىٰ سعة علمه(٢)؛ ومن هنا كانت الإشارة إلىٰ تلك الآيات باسم الإشارة الموضوع للبعيد تأكيدا علىٰ علو شرفها وبعد مقامها.

وإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة -الدال علىٰ قدرة الخالق وهيمنته في تصريف مقاليد السموات والأرض وفق إرادته-، جاء في هذا السياق بغرض تثبيت النبي ﷺ وتهيئته وأصحابه لقرب مواجهة المشركين وقتالهم، ووعده بنصرتهم وإن كانوا أقل عددا وعدة؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومما يؤكد فكرة

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ٦/ ٥٣٠،الطابعة الأولىٰ ١٤٠١ه ١٩٨١م،دار الفكر (لبنان- بيروت)

(٢) ينظر التحرير والتنوير،للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٢/ ٣٠٥ بتصرف،الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤

التثبيت من الله وبث الثقة في نفوس المؤمنين ووعده لهم بالنصر،إسناد الضمير لذاته سبحانه في قوله: "نتلوها" والتقييد بالجر والمجرور "بالحق"،فإذا كان الله هو الذي يخبر بتلك الآيات المتضمنة لمعالم النصر لأنبيائه ورسله في الزمن الماضي فإن نصرة نبيه ﷺ ومن معه داخلة في تلك السنة التي سنها بقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ (غافر:٥١)؛ وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تأكيد لهذا المعنىٰ؛ أي من المرسلين الذين وعدهم الله بالنصر والتأييد.

وهذه الآية تشابه نسجها وصياغتها مع قوله في سورة (آل عمران):

٢- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:١٠٨)

إلا أن الغرض هنا يختلف عن غرض آية البقرة، فتعد هذه الآية تذييلا لما سبق بيانه من أمور خفيت علىٰ النبي ﷺ وصحابته في شأن يهود بني إسرائيل وأهل الكتاب، وإيضاح لسعيهم الدؤوب للصد عن سبيل الله وإضلال من اهتدىٰ بآياته؛ وذلك ليعلم المؤمنون من خلال تلك الآيات ما يثيره أهل الكتاب من عقائد باطلة أرادوا بها ردهم إلىٰ الكفر(١)، فالسياق هنا وإن أشرب معنىٰ المنة والتفضل من الله علىٰ نبيه وأمته بتلك الآيات -والذي يناسبه الإضافة للفظ (رب)-، إلا أن الإضافة هنا للفظ الجلالة جعل معنىٰ المنة والتفضل تابعا لمعنىٰ الدعوة إلىٰ تعظيم تلك الآيات وإجلالها والتحذير من مخالفة مضمونها؛ لأنها إذا عظمت وجلت في نفوسهم كانت سببا في نجاته من تلك الضلالات التي يثيرها اليهود وأهل الكتاب، أما من لم يقدرها قدرها

(١) كقولهما أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا، وتفضيلهم بيت المقدس علىٰ البيت الحرام، وسيأتي هذا في مطلب إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب أهل الكتاب.

ولم يهتد بمضمونها انحدر في مزالق البهتان الذي يثيره أهل الكتاب، وكانت هذه الآيات حجة عليه حال استحقاقه العذاب من الله ﷻ؛ لأنه أبان لهم بها سُبل النجاة من تلك الضلالات، وهذا ما أكده ختام الآية بقوله سبحانه: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾، فختام الآيتين جاء مناسبا لمضمون كل منهما، ولا يمكن أن تقوم إحداهما مقام الآخر.

٣- قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (١)﴾(٢) (الأنعام:٣٣)

تقرر الآية أن دافع معارضة المشركين لرسالة النبي الخاتم ﷺ هو العناد والاستكبار؛ لأنهم أقروا له بالصدق والأمانة، وما جربوا عليه كذبا قط، فالغرض من الآية هو تثبيت النبي ﷺ وتسليته لما لحقه من حزن وهمٍ بسبب إدعاءات قومه الكاذبة والتي أرادوا بها صرف الناس عنه مع علمهم بصدقه وصدق ما جاء به،وناسب هذا المعنىٰ تعدد أساليب التوكيد في الآية بغرض الربط علىٰ قلبه ﷺ ؛ كي لا يركن لادعاءاتهم ويفتر عن دعوتهم .

---

(١) روي في سبب نزول الآية: ((روي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط؟ ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش فنزلت هذه الآية)) تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٢/ ٥١٨

(٢) ذكر صاحب نظم الدر في مناسبة الآية لما قبلها قوله: لما تكرر في هذه السورة أمر النبي بمقاولتهم والحث علىٰ مجادلتهم وأنه لا جواب لهم إلا التبعة والبذاءة كما هو دأب المعاند المغلوب، وأن ذلك يحزنه ﷺ لما جبل عليه من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة، كان الحال محتاجًا إلىٰ التسلية،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،لإبراهيم بن عمر البقاعي ٧/ ٩٤ بتصرف دار الكتاب الإسلامي القاهرة

فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ يوحي بمعنىٰ التهديد والوعيد للذين جحدوا عظمة الله البادية من خلال آياته، فأراد أن يذكرهم من خلال هذا الاسم إحكام قدرته وإمكان مؤاخذته لهم جراء جحودهم لتلك الآيات الدالة عليه، ولا تجد هذا المعنىٰ في إضافة لفظ الآيات للفظ (رب): "ولكن الظالمين بآيات ربهم يجحدون"، ويعد وصفهم بالظالمين من وضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لمعنىٰ تجاوزهم حد الأدب مع تلك الآيات والذي يستوجب العقاب من الله القادر علىٰ كل شيء، ويؤكد هذا المعنىٰ ما أبان عنه في الآية التالية من تحقيق وعد الله لرسله بالنصر والتمكين فقال: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾، وفي تكرار الأفعال المضارعة ﴿قد نعلم، يحزنك، يقولون، لا يكذبونك،يجحدون﴾ دلالة علىٰ تجدد معية الله لنبيه بتجدد الأحداث التي تثير حزنه.

٤- قال تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (يونس:٧١).

تحكي الآية مدىٰ تحدي نوح عليه السلام قومه في سعيهم لثنيه عن إتمام دعوته، وثقته الكاملة في وعد الله بنصرته وإعانته، فالغرض الأصلي من أمر النبي ﷺ بإخبارهم بنبأ نوح عليه السلام هو تثبيته ومن معه علىٰ الدعوة إلىٰ الله وعدم التهيب من عزم المشركين وسعيهم في إيذائهم،وهذا غرض من أغراض السورة(١)،فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ

(١) ينظر مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٧/ ٢٨٥،٢٨٤

﴾ مناسب لسياق الآية التي كشفت عن قوة إيمان نوح عليه السلام ويقينه بتلك الآيات التي أيده الله بها والتي تدلل علىٰ قدرة الله عز وجل التي تُسَيِّر هذا الكون بما فيه، وأن عزم قومه علىٰ الإضرار به ومن معه من المؤمنين لا يزحزحه عن دوام دعوته، ولا يرده عن متابعة رسالته؛ لأنه متوكل علىٰ الله الذي بيده مقاليد الأمور، وقد وضع الظاهر (لفظ الجلالة) موضع المضمر في قوله: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وكان له أن يقول: (فعليه توكلت)؛ لتأكيد هذا المعنىٰ، ولك أن تتبين مدىٰ هذه الثقة التي بلغها نوح عليه السلام من خلال القيود الخمسة التي أشار إليها الإمام الرازي في جواب الشرط، والتي أبانت عن غاية التحدي لما يمكن أن يُعده أعداؤه لمواجهته، وهي قوله: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾؛ أي: كل ما ترغبون فيه من الكيد والنيل منا، ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾؛ أي: كل من عزم علىٰ هذا الكيد بحيث لا يدعو أحدا إلا أحضروه، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾؛ أي ليكن ما عزمتم عليه من الإضرار بنا ظاهرا لا خفية، ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾؛ أي: انتهوا إلىٰ بشركم؛ ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾؛ أي: عجلوا ما عزمتم عليه دون تريث(١).

٥- قال تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(يونس:٩٤، ٩٥).

ذكر علماء التفسير أن الآيتين تفريع علىٰ ما سبق بيانه من أحوال الأمم السابقة التي جعلها الله مثلا لأهل مكة وعظة لما حل بأمثالهم ممن كذبوا بآيات الله، فخطاب الله لنبيه ﷺ غرضه التعريض بالمشركين الذين ترددوا في قبول ما جاء به، لأنه ﷺ لم يطرأ عليه شك في مجال دعوته وما أيده الله به،قال ابن عباس " والله! ما شك طرفة عين ولا

(١) ينظر التحرير والتنوير ١١/ ٨٠

سأل أحداً منهم"[١]،« وحاصل المعنىٰ: إن كنتم شاكين في صدق ما أنزلنا علىٰ محمد ﷺ مما أصاب المكذبين قبلكم فاسألوا أهل الكتاب يخبروكم بأن ذلك صدق، لقد جاءكم الحق من رب محمد ﷺ فلا تكونوا شاكين ولا تكذبوا بآيات الله فتكونوا خاسرين»[٢]، وفي التعريض ملاطفة في خطابهم وإنزال لطائر نفورهم كي يقبلوا ما عُرض عليهم، وناسبه التعبير بـ "إن" التي تفيد الشك دون "إذا" التي تفيد التحقيق،والتعبير بأسلوب النهي عن التكذيب بآيات الله دون الكفر بها، وكون العاقبة هي الخسران دون بيان لسوء العذاب،وتعدد أساليب التوكيد في الآية مناسب لحال المعَرض بهم من المنكرين والشاكين فيما جاء به النبيﷺ.

وإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾؛ تأكيد لمعنىٰ ورودها من قبل اللهﷻ ، ودعوة صريحة للإذعان لها والتسليم بمضمونها، وعدم المكابرة في ردها بعد التأكد من تأييد الكتب السماوية لها وموافقة مضمونها، كما أفادت الإضافة للفظ الجلالة في سياق النهي المتضمن معنىٰ الشرط: التنبيه علىٰ مغبة التكذيب بهذه الآيات، وهو الدخول في زمرة الخاسرين المعرضين لعذاب الله، أي: لا تكونوا كالذين كذبوا بتلك الآيات فإن كذبتم كنتم من الخاسرين.

---

(١) نظم الدرر ٩/ ٢٠٢

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٢٨٦

٦- قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾[1] (الكهف:١٧)

تعددت أراء المفسرين في المراد بآيات الله في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، فقيل «شأنهم وإيواؤهم إلىٰ كهف شأنه كذلك، أو إخبارك قصتهم، أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله»[2]، فسياق الآية يحتمل هذه الوجوه الثلاثة؛ لأن اهتداءهم لهذا الكهف آية علىٰ معية الله لكل من طلب العون منه وفوض الأمر إليه؛ لأنهم عندما طلبوا الهداية بقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ كان اهتداؤهم للكهف رحمة بهم، واستجابة لدعوتهم، ونصرة لدينهم؛ لذا قال بعد قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾.

وكون إخبار الله نبيه ﷺ عن قصتهم آية من آياته التي أيده بها عندما سأله قومه عن قصة هؤلاء الفتية، وازورار الشمس عنهم ومنع الله ضوئها حال طلوعها وغروبها آية من آيات قدرته وبسط سلطانه علىٰ هذا الكون بما فيه، والذي يسخره لمن يشاء من عباده، فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في الوجوه الثلاثة أفاد عظمة وجلال تلك الآية التي هي واحدة من آيات الله الدالة علىٰ جلاله وعظمة قدرته التي تدير هذه

---

(١) تزاور: تتمايل وتتحرف،تقرضهم: تعدل في مسارها عنهم،فجوة منه: وسط الكهف ومتسعه،نظم الدرر ١٢/ ٢٨،٢٥

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،٣/ ٢٧٥ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي (بيروت) الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨ هـ

الأكوان،والإشارة لها باسم الإشارة الموضوع للبعيد مناسب لمعنىٰ تعظيمها وبُعد شرفها،وجعلها من آيات الله لتنبيه علىٰ أنها ليست بأعجب آياته؛ لأن في الكون ما هو أعجب وأدل علىٰ قدرة الله منها ردا علىٰ من ظن أنها أعجب الآيات ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾،كما أن التعبير بصيغة المضارع في قوله: "وترىٰ الشمس" لاستحضار تلك الصورة العجيبة في ذهن المخاطب ليدرك جلالها الذي سعت الآية لتقريره وتوضيحه.

٧- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (القصص:٨٧)

جاءت هذه الآية بعد وعد الله نبيه ﷺ في نهاية تلك السورة برده إلىٰ موطنه الذي أخرج منه،﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾،وهذا الختام يعد من رد عجز السورة علىٰ صدرها الذي تحدث عن وعد الله لأم موسىٰ برده إليها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾،وقد ذكر ابن عاشور أن الآية إما كناية عن نهي النبي ﷺ عن أن يتقبل من قومه ما فيه صد عن آيات الله كما تقول العرب: لا أعرفنك تفعل كذا، والمقصود تحذير المسلمين من الركون إلىٰ الكافرين في شيء من شؤون الإسلام التي أرادوا صدهم عنها، وقيل الأمر للتهييج واستثارة النبي ﷺ ليثبت علىٰ ما هو ثابت عليه ولا يتأثر بما يثيره أعداؤهم من شبهات حول ما أوحي إليه، وهذا قريب من معنىٰ الكناية في الوجه الأول، وقيل إن النهي نهي صرفة، أي: أن الله صرف المشركين وحال بينهم وبين مرادهم من صد النبي ﷺ عن آيات الله كما

صرفهم عن معارضته[١]، وعلىٰ هذا الوجه تكون إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة بيان لقدرة الله ﷻ علىٰ حفظ آياته ونصرة نبيه مما يكيد له قومه، وعلىٰ الوجهين الأولين تفيد الإضافة معنىٰ جلال تلك الآيات وعظمة التمسك بها والسير علىٰ نهجها، ففي التمسك بها دحض للمشركين، وإبطال لشبهاتهم وإحباط لسعيهم الحثيث لهدم هذا الدين،وقد صيغت الآية من ثلاث جمل إنشائية لتأكيد هذا المعنىٰ،جملتان نهي توسطهما أمر،بنيت جميعها علىٰ الترقي داعية إلىٰ التمسك بآيات الله؛ فبدأت بالنهي عن التعرض لمحاولات المشركين صده عن آيات الله التي هي ملاذ رسالته،ثم ارتقىٰ بالأمر بدوام دعوته إلىٰ الله من خلال تلك الآيات وعدم الركون إلىٰ تثبيط قومه،ثم ختمت بالنهي عن أن يكون من المشركين الذين حادوا عن طريق الحق وأعرضوا عن آياته.

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٠/ ١٩٥ بتصرف،وقد رفض جمع من العلماء فكرة القول بالصرفة لأنه لا يناسب الاستدلال علىٰ إعجاز القرآن ((قال القاضي أبو بكر: ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة علىٰ غيره في نفسه)) الإتقان في علوم القرآن،لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي،٤/ ٨،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

المطلب الثاني: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب المؤمنين والمؤمنات.

ورد إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في سياق خطاب المؤمنين في خمسة مواطن، وورد في خطابه للمؤمنات في موطن واحد، فأول مواطن خطابه المؤمنين قوله تعالىٰ:

١- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١) (البقرة:٢٣٢)

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن أحكام الطلاق، ومن بين تلك الأحكام إمساك الأزواج عند قرب انقضاء عدتهن بغرض إضرارهن بتفويت فرصة انقضاء العدة؛ كي لا تتمكن من الزواج، فالغرض من الآية هو التحذير من هذا الأمر الذي كان سائدا في الجاهلية، وسرعة الامتثال لحكم الله تعالىٰ الذي أقره، ويبدو هذا التحذير من عدة محاور، منها: تتابع أساليب الإنشاء وتشابكها لإفادة هذا الغرض، فتجد من ذلك الأمر الذي أفاد معنىٰ التخيير بين أمرين لا يجوز الجمع بينهما في قوله:

---

(١) ورد في سبب نزول الآية أنهم في الجاهلية((كانوا يراجعون المرأة بعد الطلاق ثم يطلقونها دواليك، لتبقىٰ زمنا طويلا في حالة تركٍ،إضرارا بها، إذ لم يكن الطلاق عندهم منتهيا إلىٰ عدد لا يملك بعده المراجعة)) التحرير والتنوير،٢/ ٤٠٧ ، ((وقيل: كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول: كنت ألعب، فنزلت))، ((وآيات الله هي ما في القرآن من شرائع المراجعة نحو قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ إلىٰ قوله: ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾)) السابق ٢/ ٤٢٤

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾- والفاء هنا للترتيب والتعقيب، أي: عليكم بسرعة الاختيار عند قرب انقضاء العدة، إما مراجعتهن من غير إضرار، أو تركهن حتىٰ تنقضي عدتهن- والنهي في قوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾، ثم تكرار الأمر في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ...﴾، وفي قوله:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، ومن ذلك الشرط الذي أشرب معنىٰ التهديد في قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾.

أضف لما سبق ما أفادته إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾، فهذه الجملة بمثابة قطب الرحىٰ الذي دار عليه معنىٰ الآية؛ لأنها من أسباب نزولها.

فأفاد إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في هذا السياق، ضرورة استحضار عظمة الله ﷻ في نفوس المؤمنين المخاطبين بهذا الحكم الشرعي، وتذكير بما يترتب علي المخالفة من الوقوع تحت سطوة عقابه وقبضة يده سبحانه المفاد من قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾، فتذكر جلال الله مدعاة لمخالفة هوىٰ النفس وسعيها لتحقيق أمر الله جل جلاله، ومما يؤكد ما أفادته الإضافة للفظ الجلالة من استحضار عظمته في نفوس المؤمنين رجاء الامتثال لأمره، تكرار هذا الاسم في أربع جمل متتالية: وهي قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴿هُزُوٗا، وَٱذۡكُرُواْ﴾ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم ﴿بِهِۦ، وَٱتَّقُواْ﴾ ﴿ٱللَّهَ، وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ ، فهذا التكرار مفاده التحذير من مخالفة أمر الله سبحانه والاستخفاف بآياته التي أبان لهم بها عن مراده منهم.

٢- قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (آل عمران:١٠١)(١)

يخاطب الله ﷻ المؤمنين محذرا إياهم من الانجراف وراء كيد أهل الكتاب الذين يتظاهرون بالمودة وقلوبهم تشتعل عليهم حقدا وحسدا، فأطلعهم الله ﷻ علىٰ رغبتهم في إثارة الفتنة بينهم وسعيهم الحثيث لردهم عن الإسلام إلىٰ عهد الكفر والعصيان، وقد صرح بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ...﴾ (البقرة:١٠٩)، فاستهلال الآية بنداء المؤمنين تنبيها علىٰ خطر الأمر الذي يدعوهم إليه،وفي صياغة هذا المعنىٰ في جملة الشرط: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم﴾ الذي أفاد ترتب الجزاء علىٰ فعل الشرط،تأكيد لسوء عاقبة طاعة أهل الكتاب؛ لأنهم وإن بدا في ظاهر حديثهم النصح فإن في باطنه المكر والخداع، كما أفادت صيغة المضارع في فعل الشرط وجوابه "تطيعوا،يردوكم" تأكيد لرغبة أهل الكتاب في رد المسلمين عند دينهم وتجدد هذا السعي منهم في كل

(١) روي أن شاس بن قيس اليهودي كان عظيم الكفر شديد الطعن علىٰ المسلمين، مر علىٰ نفر من الأنصار من الأوس والخزرج فرآهم في مجلس لهم يتحدثون، فشق عليه ذلك فجلس إليهم وذكرهم ما كان بينهم من الحروب قبل ذلك فتنازع القوم وتغاضبوا وقالوا: السلاح السلاح، فوصل الخبر إلىٰ النبي(ﷺ)، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار، وقال: أترجعون إلىٰ أحوال الجاهلية وأنا بين أظهركم، وقد أكرمكم الله بالإسلام وألف بين قلوبكم فعرف القوم أن ذلك كان من كيد ذلك اليهودي، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية،ينظر التحرير والتحبير ٤/ ٢٨.

زمان،فالأولىٰ بالمسلمين عدم الانصياع لهم والتسليم لأوامرهم وإن بدا في ظاهرها الصلاح لهم،والاستفهام في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ...﴾ أفاد معنىٰ الإنكار والتعجيب من أن يتطرق إليهم الكفر والحال أن آيات الله تتلىٰ عليهم، وبينهم رسول الله ﷺ يرشدهم لما فيه صلاح حالهم(١).

وفي إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في الجملة الحالية: ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ تشريف وتعظيم وبيان لفضل جلال تلك الآيات التي هي سبيل النجاة لهذه الأمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ودعوة للتمسك بها عندما تبدو فتنة يثيرها أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، وهذا ما أكده ختام الآية بجملة الشرط الثانية: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٣-قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠) (٢)

---

(١) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ١/ ٥٩٩،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجواد،الشيخ علىٰ محمد معوض،أ.د فتحي حجازي،مكتبة العبيكان (الرياض) الطبعة الأولىٰ ١٤١٨ه- ١٩٩٨م

(٢) ذكر ابن عاشور أن هذا الحكم تدريج في تحريم موالاة المسلمين للكافرين، جعل مبدأ ذلك أن لا يحضروا مجالس كفرهم ليظهر التمايز بين المسلمين الخلص وبين المنافقين، ورخص لهم القعود معهم إذ خاضوا في حديث غير حديث الكفر،ثم نسخ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ التحرير والتنوير ٥/ ٢٣٦،٢٣٥

يخاطب الله المؤمنين محذرا إياهم من مجالسة الكافرين والمنافقين حال خوضهم في آياته واستهزائهم بها؛ لأن مجرد جلوسهم علىٰ هذه الحالة وصمتهم عن رد كيدهم يظنون أن هذا إقرار بمقولاتهم، فحذرهم من أن ينالهم من العقاب ما ينال هؤلاء، وقد ذكر المفسرون: أن الذي أحيل عليه في قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ هو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾(١) (الأنعام:٦٨).

ويلاحظ أنه أضاف لفظ (الآيات) لضمير العظمة (نا) في آية الأنعام، وأضافه للفظ الجلالة في آية النساء، ولكل سياق وجهة هو موليها، فآية الأنعام نزلت بمكة وهي خطاب للنبي ﷺ الذي كان حريصا علىٰ دعوة قومه ومجالستهم رغم ما كان يواجهه من السخرية والاستهزاء بما جاء به، فأضاف الآيات لضمير (نا) تعظيما لتلك الآيات، ودعوة لأن يربأ بها عن سفاهة ودناءة هؤلاء السفهاء؛ لأنهم لا يرجون لله ولا لآياته وقارا، ولا يعرفون لها قدرا ولا مقاما، بينما آية النساء التي نزلت بالمدينة جاء الخطاب فيها لعموم المؤمنين الذين كانوا يخالطون اليهود والمنافقين ويجالسونهم ربما لمصالح دنيوية، فيسترسل اليهود والمنافقون في الخوض في آيات الله فيحجم المؤمنون عن مراجعتهم أو الإعراض عنهم تقية لهم(٢)، فجاءت الإضافة للفظ الجلالة؛ ليثير في نفوس المؤمنين استحضار عظمة الله والغيرة علىٰ كتابه وآياته، ورفض خوض الجهلة فيها وانتقاص قدرها؛ لأن الخوض فيها بما لا يليق يعد خوض في عظمة الله وجلاله والتي هي واحدة من دلائل تلك العظمة؛ لذا عبر عن هذا الخوض بالكفر دون التكذيب دلالة علىٰ أن الخوض في آيات الله بما لا يليق بها هو

(١) ينظر السابق ٥/ ٢٣٤

(٢) ينظر السابق ٥/ ٢٣٦

كفر صريح، فحذرهم من التساهل عند سماع السخرية أو الكفر بآياته والإبقاء علىٰ الحالة التي كانوا عليها قبل سماع ذلك إبقاء علىٰ أغراض ومصالح تجمعهم بغيرهم من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب،وفي بناء الفعلين "يُكْفَرُ بِهَا،وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا " للمجهول دلالة علىٰ كمال العناية بالتحذير من مجالستهم حال تلبسهم بهذين الفعلين خاصة،وأكد هذا بتكرار الضمير العائد علىٰ الآيات مع كل فعل علىٰ حد،والآية من صور الاحتباك(١)؛ فحذف من الأول -وهو فاعل الفعل المبني للمجهول أي: "يَكفر ويَستهزأ بها المنافقون والكفار"- ما جاء مقابله في الآخر- "إن الله جامع المنافقين والكافرين"-،كما حذف من الثاني -"إنكم إذا مثلهم في الكفر والاستهزاء بآيات الله" - ما ذكر في الأول ﴿أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ﴾،وختام الآية بتوعد المنافقين والكفار بجمعهم في جهم تعريض بمن لم يمتثل أمر الله.

٥-قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف:٢٦)

جاءت الآية عقب قصة خروج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة بسبب إغواء الشيطان له ولزوجه، فغاية هذا التعقيب هو تحذير بني أدم وعلىٰ رأسهم المؤمنون من مدخل

(١) جاء في الإيضاح بأنه " الحذف من كل ما أثبت مقابله في الآخر فما ذكر في كل محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر".ينظر هامش الإيضاح في علوم البلاغة،لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ٣/ ١٧٤، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة،وقيل: هو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل،ينظر البلاغة العربية لعبدالرحمن بن حسن حبنكة ٢/ ٥٤،دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت الطابعة الأولىٰ ١٤١٦ - ١٩٩٦

آخر من مداخل الشيطان إليهم، وهو الغرائز الجسدية، فإن كانت شهوة البطن هي سبيل الشيطان لعصيان أبوينا بأكلهما من الشجرة، فإن شهوة الفرج التي نتجت عن معصية سيدنا آدم وزوجه وبدت لهما سوأتهما، هي سبيله أيضا لإيقاع أبنائه في عصيان الله ﷻ، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله:«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»(١)

والنداء بالحرف الموضوع لنداء البعيد غرضه التنبيه على عظم الأمر الذي نادهم الله من أجله وهو ستر العورة،وتخصيص المنادي بوصف "بني أدم" دون "يا أيها الناس" تذكير بحادثة أبيهم آدم عليه السلام ليحذروا عبث الشيطان بهم،ومعنى الإنزال في قوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ « أنه تعالى أنزل المطر وبالمطر تتكون الأشياء التي منها يحصل اللباس، فصار كأنه تعالى أنزل اللباس»(٢)،والتعبير بالفعل "يواري" -الذي هو بمعنى يغطي- دون "يستر" أنسب لمعنى اللباس،«فالستر ما يسترك عن غيرك وإن لم يكن ملاصقا لك كالحائط والجبل،والغطاء لا يكون ملاصقا»(٣)

وقوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يعد من ذكر العام بعد الخاص؛ لأن ستر العورة يدخل ضمن صور تقوى الله ﷻ، فمن جعل التقوى بعموم معناها رداءه كانت سترا لظاهره وباطنه، وقد امتزج التشبيه من طريق إضافة المشبه به للمشبه مع المشاكلة اللفظية، فشبه التقوى باللباس في إفادة معنى الستر من كل ما يعيب، والتعبير

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك،٧/ ١٨٨ تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم،مكتبة الرشد (السعودية، الرياض) الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

(٢) مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٢١.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري،ص٢٨٨

باللباس عن التخلق بالتقوىٰ من المشاكلة اللفظية؛ فذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا ﴿قد أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾، وإضافة لفظ ﴿لباس﴾ لـ﴿التقوىٰ﴾ وتنكيره مع لفظ ﴿ريشا﴾ ما يفيد معنىٰ التعظيم والتشريف، أضف إلىٰ ذلك تكرار اسم الإشارة الموضوع للبعيد.

وفي إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، ما يفيد معنىٰ التنويه والتنبيه بعظمة تلك الآيات -التي سردت قصة أبينا آدم وتعقيبها بالحديث عن ستر العورة-، لأجل أن يضعها المؤمنون نصب أعينهم ويعتبروا بها في كل زمان ومكان، ويدركوا ما وراءها فيمتثلوا مراد الله منها، ويغلقوا بابا من أبواب الشيطان إليهم، وإن كان ظاهر معنىٰ الآية الامتنان علىٰ بني البشر بإيجاد اللباس ليواروا به أجسادهم إلا أن إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة دون لفظ (رب) -الذي يرد في سياق الامتنان-، استحضر معنىٰ عظمة الله في قلوب بني البشر ليسارعوا لامتثال مراده بمواراة عوراتهم وكبح جماح غرائزهم، ولو جاءت الإضافة للفظ (رب) لفهم معنىٰ الامتنان بإنزال اللباس لستر عوراتهم فحسب.

٦- قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا (١)﴾ (الطلاق:١١،١٠).

(١) ذكر الإمام الرازي أن قوله: "قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا" هو علىٰ وجهين أحدهما: أنزل الله إليكم ذكرا، هو الرسول، وإنما سماه ذكرا؛ لأنه يذكر ما يرجع إلىٰ دينهم وعقباهم،وثانيهما: أنزل الله إليكم ذكرا، وأرسل رسولا)) أي علىٰ حذف فعل،مفاتيح الغيب ٣٠/ ٥٦٥.

يبدو من سياق هذه الآية أنها تصريح بالمنة علىٰ أمة الإسلام؛ حيث حباها بنبي الرحمة، وأيده بشريعة وسطية سمحة، أخرجهم بها من ظلمات الجهل إلىٰ نور الإيمان واليقين، ومن بين ما تضمنته تلك الشريعة أحكام الطلاق والعدة والنفقة التي تحدثت عنها سورة الطلاق قبل تلك الآية، فمجيء آية الشاهد واستهلالها بالأمر بالتقوي عقب تلك الأحكام دعوة للامتثال لها، والسعي لتنفيذ مراد الله منها، ومن هنا يبدو الغرض من إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾، -دون اسمه (رب) الذي يتناسب مع سياق المنة والتفضل علىٰ المؤمنين بإرسال نبي يتلو عليهم آيات ربهم- فآثر لفظ الجلالة هنا لأجل التعظيم والإجلال لهذه الآيات بامتثال أوامرها واجتناب نواهيها التي هي سبب لخروج الناس من ظلمات الجهل الذي كان سائدا في الجاهلية في معاملاتهم لنسائهم، إلىٰ نور الإسلام الذي يحفظ حقوق المرأة بحسن المعاملة حال الزواج وبعد الطلاق، فأمر بالإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان، وفي تنكير لفظي ﴿ذكرا، رسولا﴾ ما يفيد معنىٰ التعظيم للمرسَل والمرسَل به.

كما أفادت الإضافة للفظ الجلالة هنا استحضار عظمة الخالق سبحانه في نفوس المخاطبين بهذه الأحكام التي تضمنتها آياته حملا لهم علىٰ الامتثال لها وعدم التساهل في تنفيذها، ويؤكد هذا الغرض تكرار لفظ الجلالة في هذه السورة خمسا وعشرين مرة، منها في سياق الترغيب كقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾، وأيضا في سياق الترهيب كقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ

ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾، وقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فتكرار لفظ الجلالة في السورة فيه دعوة للانقياد لمراد الله وتنفيذ لمطلوبه الذي ورد في سياقات تلك الآيات.

٧- قال تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٤)(١).

جاءت هذه الآية بعد عدة أوامر ونواهي وجهت من الله ﷻ لنساء النبي ﷺ بغرض التثبيت والمداومة علىٰ ما طلب منهن؛ حيث نهاهن عن الخضوع بالقول والتبرج، وأمرهن بقول المعروف وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، ثم ختمت تلك الأوامر في هذا السياق بالأمر بدوام ذكر آيات الله والحكمة في بيوتهن، ولعل السر في ذلك هو كون هذا الذكر عونا لهن علىٰ الامتثال لما سبق من تلك الأوامر والنواهي وعدم التفريط في شيء منها، «قال أهل التأويل آيات الله: هي القرآن، والحكمة: السنة، وقال مقاتل: المراد بالآيات والحكمة: أمره ونهيه في القرآن»(٢).

ويلاحظ أن لفظ (الآيات) هنا أضيف للفظ الجلالة دون لفظ (رب) الدال علىٰ الامتنان والإنعام مع أن الموطن هنا« تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل

---

(١) قيل في سبب نزول الآيات أنها نزلت علىٰ رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئا من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا، فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهن، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذي يقسم لهن،ينظر جامع البيان في تأويل القرآن،لمحمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري،٢٢/٩١ تحقيق: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،٤/ ٣٢٣،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب (دمشق، بيروت) الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٤ هـ

بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي»[١]، فأفادت الإضافة للفظ الجلالة -بجانب الامتنان بنزولها في بيوتهن- وجوب استحضار عظمة الله الكائنة في آياته والمشتملة علىٰ الأوامر والنواهي بغرض الامتثال لما فيها وعدم التهاون في شيء منها، ومما يؤكد هذا المعنىٰ ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أي: «عالما بغوامض الأشياء خبيرا بحقائقها، أي هو عالم بأفعالكن وأقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله»[٢].

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٤/ ٢٣١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل،لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي،٣/ ٣٠،حققه: يوسف علي بديوي،راجعه: محيي الدين ديب مستو: دار الكلم الطيب، بيروت،الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المطلب الثالث: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق الحديث عن المشركين

أكثر المواطن التي ورد فيها إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة جاءت في سياقات الحديث عن المشركين، كما جاءت مناسبة للمقام الذي وردت فيه، فخص هذا المطلب بأحد عشر موضعا باستثناء مواضع جاءت في مبحث اجتماع كلا الإضافتين في سياق واحد،وأول شواهد هذا المطلب قوله تعالىٰ:

١-﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (التوبة:٩) (١)

جاءت الآية في سياق الكشف عن خبث ما تنطوي عليه نفوس المشركين تجاه الإسلام والمسلمين، فإذا ما بدت لهم فرصة النيل منهم لا يراعون عهدا بينهم ولا قرابة، ومعنىٰ ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾: «استبدلوا بآيات القرآن التي من جملتها ما فيه الأمر بالوفاء بالعهود ثمنا قليلا حقيرا وهو ما آثروه من حطام الدنيا فصدوا عن سبيله»(٢)، فتنكير لفظ ﴿ثَمَنٗا﴾ ووصفه بـ ﴿قَلِيلا﴾ تأكيد لدناءة نفوس هؤلاء المشركين الذين آثروا شيئا من حطام الدنيا الزائل علىٰ وفائهم بعهودهم مع المسلمين، ولو ارتكبوا هذه الخصلة مع أهل عقيدتهم لسبوا بها مدىٰ الدهر،وتذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، استئناف أفاد تأكيد وقوع مثل هذه الأعمال الخبيثة منهم مرة تلو الأخرىٰ، فلا يهمهم الثبات علىٰ المبادئ قدر ما يهمهم منافع الدنيا وعرضها الزائل.

---

(١) روي في سبب نزول الآية أن ((أبا سفيان بن حرب جمع بعض العرب علىٰ طعام وندبهم إلىٰ وجه من وجوه النقض فأجابوا إلىٰ ذلك فنزلت الآية)) السابق ٣/ ١١

(٢) فتح القدير للشوكاني،٢/ ٣٨٨

وإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في سياق الحديث عن غدر المشركين وعدم مراعاتهم عهودهم التي أبرموها مع المؤمنين أبان من جهة عن مدىٰ حقارتهم واستخفافهم بآيات الله الداعية إلىٰ وجوب الوفاء بالعهد علىٰ أية حال من القوة أو الضعف، ومن جهة أخرىٰ أفادت الإضافة معنىٰ التهديد بسبب هذا التهاون الذي يستوجب عقاب الله القادر علىٰ مؤاخذتهم والنيل منهم بسبب جرمهم واستهوانهم بعهوده وآياته.

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾(النحل:١٠٣- ١٠٥)

جاءت الآيات لدفع بعض الشبه التي ألصقها المشركون بالنبي ﷺ، والتي منها أنه كان يتعلم القرآن علىٰ يد بعض البشر ممن كانوا علىٰ علم بالكتب السماوية، فرد الله افتراءهم بحجة بالغة، وهي: أن ألسنة الذين زعموا تعلم النبي ﷺ علىٰ أيديهم أعجمية، بينما نزل القران بلسان عربي مبين، ثم انتقل لبيان مآل هؤلاء الذين اختلقوا هذه الافتراءات، بأن حجب الله عنهم سبل الاهتداء بها، وقضي عليهم بالعذاب الأليم بسبب افتراءاتهم علي آياته بأكاذيب دون حجة أو بينية،فتعريف المسند إليه باسم الموصول في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إيماء إلىٰ وجه بناء الخبر وأنه من جنس العذاب، وخص وصفه بالأليم؛ ليستشعروا شدته نتيجة انعدام استشعارهم بجلال تلك الآيات وتبلد قلوبهم نحوه،كما أفاد بالفعلين المضارعين المنفيين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ

ٱللَّهُ﴾ ترتب أحدهما علىٰ الآخر،فكلما تجدد كفرهم بتلك الآيات تجدد وضلالهم وانعدمت سبل الاهتداء بها.

وفي إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة تنويه بعظمة وجلال هذه الآيات وعلو شرفها، وأن تدني هؤلاء الكفرة بعقولهم، ورضوخهم بألبابهم تجاهها، وعدم إيمانهم بها كان سببا في بناء الحجب بينهم وبينها، وسترا منيعا في استشعار مراد الله منها.

جاءت الآية الثانية:﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ لتقرير معنىٰ الآية السابقة؛ لأنهم لما افتروا الكذب علىٰ ما جاء به النبي ﷺ كان دافع هذا الكذب والافتراء هو عدم الإيمان بالله، وأفاد القصر بـ"إنما" التي تأتي في الأمور المسلم بها كون افتراء الكذب من الذين لا يؤمنون بآيات الله جبلة جبلوا عليها بغرض الانتصار لأهوائهم،ثم زاد من تأكيد هذه القضية بالقصر الذي رد به عجز الآية علىٰ صدرها بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

٣- قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت:٢٣)

جاءت هذه الآية ضمن آيات اعتُرض بها بين الحديث عن دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه وجوابهم عليه، وقد أفاد الاعتراض في هذا السياق تنبيه المخاطبين من كفار مكة أن حالهم أشبه بحال الأمم التي كفرت بآيات الله ولقائه، وأن المصير الذي ينتظرهم إن بقوا علىٰ ما هم عليه هو مصير هؤلاء الذين نَفَذ أمر الله فيهم، وقضىٰ عليهم باليأس من نيل رحمته عند معاينتهم العذاب، وقد ذكر ابن عاشور سر إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة قائلا: «والتعبير بالاسم الظاهر في قوله: بآيات الله دون ضمير التكلم للتنويه بشأن الآيات؛ حيث أضيفت إلىٰ الاسم الجليل لما في الاسم

الجليل من التذكير بأنه حقيق بأن لا يكفر بآياته»[١] ؛ لأن هذه الآيات هي الباب الأعظم الذي يولج منه للإيمان بالله وبيوم لقائه،وتخبر عن مراد الله من العباد، وبما أعده للمؤمنين في الآخرة من الثواب وللمذنبين من العقاب، فكفرهم بها يعد كفرا بالله وبما أخبر به؛ لذا يتملكهم اليأس من نوال رحمة الله التي أعدها لعباده الصالحين، ويوقنون في الآخرة بالعذاب الأليم، وفي تكرار اسم الإشارة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾،دلالة علىٰ ترقيهم من استشعار العذاب النفسي -المتمثل في الشعور باليأس من نيل رحمات الله عندما يرونها تترىٰ علىٰ عباده المؤمنين يوم لقائه-، إلىٰ العذاب الحسي المتمثل فيما أعد لهم في نار جهنم من عذاب يؤلم أجسادهم وأبدانهم.

٤- قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الروم:٩،١٠)

جاءت آية الشاهد عقب دعوة أهل مكة للنظر في آثار ما حل بالأمم السابقة التي كانت أشد قوة وأعتىٰ بأسا منهم، فلم يكن بأسهم وشدتهم مانعا من عقاب الله لهم بعد تكذيبهم بآياته وازدرائهم لها، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰ﴾: قيل اسم لجهنم كما أن الحسنىٰ اسم للجنة[٢]، فغرض الآية تنبيه أهل مكة لما ينتظرهم من العقاب إن بقوا علىٰ حالهم من التكذيب والاستهزاء بآيات الله التي أيد بها نبيه، وفي إضافة لفظ (الآيات)

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٠/ ٢٣٤

(٢) ينظر فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٤٩

للفظ الجلالة في هذا السياق بيان لمكانة تلك الآيات عند الخالق سبحانه، وتوليه حفظها وإنفاذ وعيده لكل من أنكرها أو ازدراها، ويلاحظ في هذا الشاهد وإن كان تهديدا للمشركين إلا أن هذا التهديد يحوطه شيء من التلطف في خطابهم وتحذيرهم من التكذيب بآيات الله، وذلك من جهة دعوتهم إلىٰ النظر في مسار حال الأمم السابقة، وبيان أن هذه الأمم قد بلغت من القوة والعتو ما لم يتمكن أهل مكة من بلوغه وهم مع ذلك لم يعجزوا الله في أخذ هم وعقابهم، والاكتفاء ببيان أنهم ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بآيات الله، وتسمية جهنم ﴿بالسوأىٰ﴾ دون أسمائها المعهودة، والتعبير بالتكذيب الذي يسبق الكفر دلالة علىٰ بقاء فرصة الرجوع عما هم عليه من التكذيب.

٥-قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ * لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾(١) (الزمر:٦١، ٦٢).

يخبر المولىٰ سبحانه أنه مالك زمام أمور هذا الكون بأكمله، يتصرف وحده فيه كيفما شاء، فغرض الآية الاحتجاج علىٰ الذين أشركوا مع الله آلهة أخرىٰ، ودعوة لهم للتفكر في دقة صنع هذا الكون ودلائل آياته التي تحيط بهم من كل جانب، فكل ما فيه يؤكد أنه لو كان مع الله آلهة أخرىٰ لفسد كل ما فيه ومن فيه، ويلاحظ تعددت صور القصر في الآية والتي تدور حول تأكيد معنىٰ تفرد الله بالإلوهية، فتجد من ذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) ﴿مقاليد﴾ واحدها مقلاد،وهي المفاتيح والأمور الجامعة القوية وهي استعارة لشدة التمكن من ﴿السماوات﴾ أي جميع أعدادها،﴿والأرض﴾ أي جنسها خزائنهما وأمورهما ومفاتيحهما الجامعة لكل ما فيهما،نظم الدرر ١٦/ ٥٤٤

وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾، وكذا قصر الذين كفروا بآيات الله المشار إليهم بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ علىٰ وصف ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾؛ لكونهم لم ينتفعوا بتلك الآيات الدالة علىٰ تفرده (سبحانه) بالإلوهية، وأفاد باسم الفاعل "خالق" الدال علىٰ ثبوت هذا الوصف ودوامه له سبحانه أنه ما من شيء في الكون أجمع إلا وهو من صنعه وأكد هذا بلفظ العموم المضاف للنكرة ﴿ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

وإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة يناسب سياق الاستدلال علىٰ عظمة الخالق وجلال قدرته البادية من عظمة تلك الآيات التي ضمنها خلق السموات والأرض وما فيهن، وحجة علىٰ هؤلاء الذين لم يستدلوا بهذه الآيات ولم يصلوا من خلالها لإدراك شيء من جلال عظمة الخالق سبحانه، فاستحقوا الخسران والإذلال بسبب جرمهم وفساد عقولهم، وتعطيلها عن التدبر والتفكر في خلقه.

٦-قال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ (غافر:٤).

انفردت سورة غافر بتكرار إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في ستة مواضع موزعة في أرجائها متماسكة فيما بينها، فجاء الموضع الأول في مستهل تلك السورة لبيان أجلّ أغراضها، وهو: أن جدال الكفار(١) في آيات الله إنما هو طبيعة جبلوا عليها، وسجية انتهجوها ليس بغرض الإنصاف أو الوصول لحقيقة صدقها من عدمه، وإنما لأجل العناد والاستكبار والاضطهاد، وقد كشف صاحب التحرير والتنوير عن سر

(١) الجدال في آيات الله هو أن يقال مرة إنه سحر ومرة إنه شعر ومرة إنه قول الكهنة ومرة أساطير الأولين ومرة إنما يعلمه بشر، وأشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة)) مفاتيح الغيب ٢٧/ ٤٨٦

إضافة لفظ ﴿الآيات﴾ للفظ الجلالة في مستهل السورة قائلا: «وإظهار اسم الجلالة في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دون أن يقول: في آياته، لتفظيع أمرها بالصريح؛ لأن ذكر اسم الجلالة مؤذن بتفظيع جدالهم وكفرهم وللتصريح بزيادة التنويه بالقرآن»(١)، أي: أن جدالهم هذا دليل علىٰ تأصل الكفر والكبر في قلوبهم؛ لأنهم أدركوا جلال القرآن وأقروا في مجالسهم أنه ليس من كلام الإنس والجان، ومع ذلك لم ينصاعوا لجلاله ولم يرتدعوا عن إنكاره وجداله، فالإضافة هنا أفادت التعظيم والتشريف لتلك الآيات التي هي دليل علىٰ عظمة الله وكمال جلاله، وأن الأولىٰ بهم أن يعرضوها علىٰ ميزان ألسنتهم وعقولهم ليدركوا قدرها وعظيم فضلها لا ليجادلوا فيها بالباطل ليدحضوا به الحق، وقد صيغت الآية في قالب القصر من طريق النفي والاستثناء تأكيدا للمعنىٰ الذي قصدت إليه الآية، وهو كون الجدال في آيات الله من قبل المشركين لم يكن إلا بدافع الكفر ولا شيء غير الكفر،وتذييل الآية بقوله: ﴿فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ تهديد ووعيد لهؤلاء الذين أعمتهم الدنيا عن التبصر في تلك الآيات لأجل التدبر لا للجدال.

٧- أما عن الموضع الثاني في تلك السورة وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾(٢) (غافر:٣٤، ٣٥).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ٨٣

(٢) المقت: شدة البغض،ينظر التحرير والتنوير ٢٤/ ١٤٣

فجاء ضمن جدال مؤمن آل فرعون لفرعون وقومه(١)، وهو يرتبط برباط وثيق بالموضع الأول؛ لأنه لما أشار في الموضع الأول إلىٰ أنه لا يجادل في آيات الله إلا الذين كفر وقصد به مشركي قريش ومن علىٰ شاكلتهم في زمن النبي ﷺ بدليل كاف الخطاب في قوله: ﴿فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾، جاء هنا ليبين طرفا من جدال الكافرين-في زمن سيدنا موسىٰ عليه السلام- لمؤمن آل فرعون؛ ليؤكد أن الكفر كله ملة واحده، وأن مصير المجادلين في آيات الله في كل زمان ومكان مصير واحد، وهو الإضلال والطبع علىٰ القلوب وعدم نفاذ الإيمان إليها، فأفاد بقوله:﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ « العبرة بحال المكذبين بموسىٰ تعريضا بمشركي قريش، أي كضلال قوم فرعون يضل الله من هو مسرف مرتاب أمثالكم فكذلك يكون جزاؤكم»(٢).

وتعريف المسند إليه باسم الموصول في قوله:﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ إيماء لوجه بناء الخبر،وهو كون جدالهم في آيات الله بغير بينة أو حجة يعتد بها يعد من أقوىٰ الأسباب التي توجب المقت والطبع علىٰ القلوب وحجب نفاذ الهدىٰ إليها،وفي إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة هنا تنويه بجلال تلك الآيات التي لا يضيرها سفاهة المجادلين فيها وألسنة المكذبين بها، فدعواهم باطلة وحججهم داحضة؛ لانعدام أدلتها وانقطاع برهانها، ولما كان جدالهم فيها غايته طمس معالم أنوارها وحجب سبل الاسترشاد بها كان الجزاء من جنس العمل بالطبع علىٰ قلوبهم، نسأل الله العفو والعافية،وختام الآية بقوله: "كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ

(١) السابق ٢٤/ ١٤١

(٢) السابق الصفحة نفسها

عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" تقرير لهذه القضية وتعميم مقصدها في جميع الأزمان،أي أن هذا مصير كل من كان جداله لأجل الصد عن آيات الله البينات،والطبع استعارة للمنع والحجب.

٨- جاء الموضع الثالث في تلك السورة، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (غافر:٥٦)

فتشابه صياغته مع آية الموضع الثاني، إلا أن الموضع الثاني مفاده تشبيه حال الذين يجادلون في آيات الله في زمن النبي ﷺ بحال المجادلين في زمن سيدنا موسىٰ عليه السلام، وأن مصيرهما الطبع علىٰ قلوبهم وعدم نفاذ شيء من الإيمان إليها، بينما الآية في الموضع الثالث غرضها الكشف عن دافع جدالهم في آيات الله البينات وهو: الاستكبار الذي ملك مجامع قلوبهم، والتعالي الذي غلَّف أفئدتهم وأعمىٰ أبصارهم عن تلك الآيات، وقد أكد هذا الدافع في الآية بعدة مؤكدات، وهي: (إنّ)، واسمية الجملة، والقصر من طريق النفي والاستثناء في قوله: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾، ثم أشار في ختام الآية إلىٰ سبيل النجاة من مكائد هؤلاء وما يرنون إليه من وراء جدالهم، وهو الاستعاذة بالله، فهو وحده سميع بجدالهم،بصير بما تنطوي عليه صدورهم،قادر علىٰ صرف كيدهم.

وقد أفادت إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة ما أفادته في الموضع السابق من معنىٰ التعظيم والتشريف لتلك الآيات التي تنأي عن كبرهم وتعلو عن جدالهم وإفكهم، فمهما حاولوا النيل منها في أي زمان فلن يبلغوا مرادهم ولن يدركوا غرضهم؛ لأن الله قد تولىٰ حفظها، وكفىٰ بالله حفيظا.

٩- الموطن الرابع قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1] (غافر: ٦٣).

فيرتبط بالموضع الثالث برباط دقيق؛ لأنه لما كشف عن سبب جدال المشركين في آيات الله وهو ما في قلوبهم من الكِبر، انتقل مباشرة للاستدلال بآيات كونية -لإقامة الحجة عليهم من جهتين: جهة لغتهم التي برعوا فيها، وجهة ما لا ينكرون أنه من صنع الله سبحانه- فقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)، ثم عقب الاستدلال بخلقه السموات والأرض بما هو أعم منهما فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

أي: «لِمَ تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بها،... فكل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة لطلب الحق وخوف العاقبة أفك كما أفكوا»[2]، فلفظ (الآيات) هنا أريد به الآيات الكونية من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وبذلك يكون قد احتج عليهم بآيات الله التي هي من صميم لغتهم التي برعوا في فنونها، وبآياته الكونية التي يرونها علىٰ مدار تعاقب الليل والنهار ويعترفون أنها من صنع خالقهم، وقد أضاف لفظ (الآيات) هنا للفظ الجلالة دون اسمه (رب) مع أن تلك (الآيات) هي من النعم التي منَّ الله بها علىٰ خلقه وسخرها لخدمتهم؛ لأن الموطن

(١) ﴿يؤفك﴾ أي يصرف صرف سيئًا،فدلت الآية أن كل من تكبر عن حق فأنكره مع علمه به عوقب بمسخ القلب وعكس الفهم، فصار له الصرف عن وجوه الدلائل ديدنًا بحيث يموت كافراً،نظم الدرر ١٧/ ١٠٤

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٧/ ٥٢٩،بتصرف يسير

موطن استدلال علىٰ الوحدانية الذي يناسبه بيان جلال سلطان الله وعظمة قدرته البادية في خلق الأكوان والأفلاك، والتي لو منحوها فضل تفكر وقليل تدبر لأيقنوا أنه لا إلاه غيره ولا معبود سواه، ومن هنا كان تكرار أسلوب القصر في قوله:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ، خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ، لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأجل تأكيد هذا المعنىٰ وتقريره .

١٠- الموضع الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[1] (غافر:٦٩-٧٢)

بعدما فصّلت المواطن السابقة أحوال الذين يجادلون في آيات الله وكشفت عن دافع جدالهم فيها، ختمت ببيان مصيرهم المحتوم الذي كتبه الله عليهم في الآخرة، والغرض في هذا الختام هو تسلية النبي ﷺ عما لحقه من إيذاء نفسي بسبب كثرة جدالهم في آيات الله بالبطل؛ لذا قال بعد وصف حالهم في النار: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر:٧٧)، فـ "أنىٰ" في قوله: ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ « بمعنىٰ: كيف، وهي مستعملة في التعجيب، أي: أرأيت عجيب انصرافهم عن التصديق بالقرآن بصارف غير بَيّن منْشؤه»[2]، فالعجيب في انصرافهم عن تلك الآيات أنهم أعلم الناس بلغتها ومضمونها، ولكن حجب العناد

(١) ﴿يسجرون﴾ أي يلقون فيها وتوقد بهم مكدسين مركوبين كما يسجر التنور بالحطب،نظم الدرر ١٧/ ١١٥

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٠١،٢٠٠

قلوبهم عن التدبر وإمعان النظر فيها، فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في هذا السياق يكشف عن جلال ما ضمنها الله من براهين ودلائل تفتح قلوبهم للاهتداء والإيمان لو أزاحوا الغشاوة عن أعينهم، ومحو الوقر الذي تمكن من آذانهم، وأزالوا الرآن الذي تراكم فوق قلوبهم، فهنا يفتح الله الحجب بينهم وبينها، ولكنهم لما أصروا علىٰ ما هم عليه من التكبر والجدال بالباطل في آيات الله استحقوا المذلة والامتهان الذي توعدهم الله به في تلك الآيات،وحينئذ يدركون فساد رأيهم وباطل جدالهم.

١١-جاء الموضع السادس في ختام السورة في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ (غافر:٨١)

وقد عقب به بعد ذكر تفضل الله عليهم بالأنعام التي هي سبب معاشهم ومصدر رزقهم، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا * تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾(غافر:٧٩،٨٠)، وهذا الموضع يرتبط بالموضع الرابع من جهة أن كلاهما بيان لتفضل الخالق عليهم، وذلك بتسخير الآيات الكونية لخدمتهم، وكذا تسخير الفلك والأنعام التي هي سُبل معاشهم، فاستهلال الآية بلفظ الجلالة أفاد معنىٰ القصر،أي أن الله وحده صاحب المنّة عليكم بهذه الآيات والنعم،وهذا تمهيد للإنكار عليهم جحودها﴿فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

ومع أن سياق الآيات يفيد معنىٰ الامتنان عليهم إلا أن لفظ (الآيات) جاء مضافا مرة لضمير لفظ الجلالة ﴿وَيُرِيكُم ءَايَـٰتِهِۦ﴾، ومرة للاسم الظاهر﴿فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ فـ «إضافة الآيات إلىٰ ضمير الجلالة لزيادة التنويه بها، والإرشاد إلىٰ إجادة

النظر العقلي في دلائلها»[1]، وإضافته للاسم الظاهر في سياق الاستفهام الدال علىٰ الإنكار، أفاد التعظيم لكل آياته التي سبق الإشارة إليها، وأن كل آية منها دالة علىٰ جلال الخالق وقدرته، ولتنبيه هؤلاء أن الله الذي منحهم هذه النعم التي يرتعون فيها قادر علىٰ عقابهم بسلبها، وحرمانهم منها إذا لم يؤدوا شكرها وبقوا علىٰ كفرهم وعنادهم، كما كان الحال في الأمم السابقة، ومما يؤكد هذا المعنىٰ أنه دعاهم بعد هذه الآية للسير في الأرض ليعتبروا بمصير الأمم الخالية التي كانت أشد منهم قوة وإعمارا في الأرض، فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (غافر:٨٢)،كما أفاد بالمضارع في قوله: "يريكم" تجدد تلك الرؤية وحدوثها بتجدد آيات الله الدالة علىٰ عظمته وقدرته،وهذا قريب من قوله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ (فصلت:٥٣).

١٢- قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الأحقاف:٢٦)

يخاطب الله ﷻ أهل مكة منبها إياهم لمشابهة حالهم حال قوم هود من جهة رفضهم دعوة نبيهم وجحودهم آيات الله،ومحذرا من أن يصيبهم ما أصابهم من العذاب الذي أشار إليه قبل آية الشاهد في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢١٨

قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾.

والمراد بالتمكين في قوله: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ « قوة الأبدان وكثرة الأموال وغيرها»(١) والتأكيد بـ "اللام،وقد" مناسب لمعنىٰ التحذير حتىٰ لا يغتر أهل مكة بما هم فيه من النعم ورغد العيش،فنبههم أن حالهم لم يكن أحسن حالا من هؤلاء ومع ذلك نفذ أمر الله فيهم جراء جحودهم بآيات الله،وتكرار النفي مع كل حاسة منّ الله عليهم بها في قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ تأكيد لعدم انتفاعهم بكل حاسة من هذه الحواس علىٰ حدة،فصُمت أذانهم عن سماع الهدىٰ،وعميت أبصارهم عن رؤية الحق،وأغلقت قلوبهم دون التدبر فيما جاءت به الرسل،ثم علل ما أصابهم بقوله: ﴿إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في جملة التعليل: جاء مناسبا لوصف ما حل بقوم هود من العذاب، وبيان قدرة الله وعظيم جبروته بتدميرهم بعدما بلغ بهم الطغيان استبعاد زوال شدتهم وصلابتهم وقالوا: (من أشد منا قوة)، فأراهم الله ﷻ من هو أشد منهم قوة، وغاية هذا تنبيه مشركي العرب بقدرة الله عليهم وإمكان أخذهم كما فُعل بأشياعهم من قبل.

(١) نظم الدرر ١٨/ ١٧٢

المطلب الرابع: إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق الحديث عن أهل الكتاب

يلاحظ أن أول المواطن التي ورد فيها إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في سياق الحديث عن أهل الكتاب جاء في سورة البقرة، وقد تشابه مع ثلاثة مواطن في الكتاب العزيز: اثنان في سورة آل عمران، والثالث في سورة النساء، وهذه المواطن الأربعة وإن اختلفت في سياقاتها إلا أنها اتفقت في الكشف عن العقوبة التي توعد الله بها بني إسرائيل بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، فقال في آية البقرة:

١- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[1] (البقرة:٦١).

فآية (البقرة) تعد استرسالا واستكمالا لما سبق بيانه من دناءة نفوس بني إسرائيل وازدرائهم نعم الله التي حباهم بها، ومن صور دناءتهم طلبهم استبدال الذي هو أدنىٰ من الطعام بالذي هو خير بدل أن يؤدوا شكر نعم الله عليهم ليضمنوا دوامها، ثم انتقل لبيان سوء عاقبتهم بضرب الذلة والمسكنة-فاستعار الضرب لمعنىٰ السيطرة التمكن

---

[1] (البقل): كل ما تنبته الأرض من النّجم مما لا ساق له وجمعه بقول،(القثّاء): معروف والواحدة قثاءة و(الفوم): الحنطة وقيل الثوم ولعله أرجح بدليل قراءة ابن مسعود "وثومها"،إعراب القرآن وبيانه،لمحيي الدين بن أحمد درويش،١/ ١١٢،دار الإرشاد للشئون الجامعية (حمص – سورية) الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ

منهم-، والغضب عليهم جراء كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، بيان لعظمة جرمهم وجرأتهم علىٰ الله بازدراء آياته والاعتداء علىٰ رسله، فأوجب لهم الإذلال والفقر واستحقاق الغضب الذي يوجب عذابه،وهذا أيضا إشارة إلىٰ جلال تلك الآيات ومكانتها عند الله؛ حيث جعلها دستورا لهم يسيرون عليه، وطوق نجاة من الوعيد الذي أعده لمخالفيه، ولكنهم لما طبعوا علىٰ الدناءة وجبلوا علىٰ الحقارة خالفوا مراد الله منها وسلكوا سبيلا غيرها، فدعاهم الكفر بها للكفر بالله والتجريء علىٰ رسله واعتياد العصيان والاعتداء علىٰ كل ما نهىٰ عنه سبحانه،وتكرار المضارع "يكفرون،يقتلون،يعتدون" أفاد تجدد هذه الأفعال منهم دلالة علىٰ تأصل طابع التمرد والعصيان فيهم.

٢- أما عن آيتي آل عمران فالأولىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران:٢١).

كشفت الآية عن بعض جرائم أهل الكتاب التي استحقوا بها غضب الله في الدنيا والآخرة، وقد جاءت جرائمهم في الآية علىٰ الترتيب؛ حيث بدؤها بالكفر بآيات الله والاستعلاء عليها كفرا وعنادا،ثم زاد تجبرهم ودفعهم للتجرؤ علىٰ أنبياء الله بالقتل والاغتيال، ولما هان عليهم قتل أنبيائهم صار القتل سجيتهم في حق الصالحين ممن يأمرون بمعروف أو ينهون عن منكر فتعريف المسند إليه باسم الموصول فيه إيماء إلىٰ وجه بناء الخبر وأنه من جنس العذاب؛ دلالة علىٰ سوء تلك الفعال التي اقترفوها،وعلل الإمام الرازي ورود لفظ "الحق" معرفا في آية البقرة ونكرة في آية آل عمران،قائلا: « الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل، قال عليه

السلام، لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ معان ثلاث، "كفر بعد إيمان،وزنا بعد إحصان،وقتل نفس بغير حق"[١]، فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلىٰ هذا وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم؛ أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره ألبتة»[٢]،فالمعنىٰ هنا أعم مما في آية البقرة؛ للإشارة لعموم وقوع القتل منه بغير وجه حق سواء للنبيين الذين أرسلوا إليهم أو الصالحين الذين يدعون بدعوة أنبيائهم؛ وهذا ما صرح به في آية آل عمران دون آية البقرة،وإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أفاد ما أفاده في آية البقرة من الدلالة علىٰ عظيم جرمهم الذي اقترفوه تجاه تلك الآيات،فلو أنها عظمت في نفوسهم وجل قدر دلالتها في عقولهم لما تتابعت جرائمهم وتوالت خطاياهم، ولكنهم لما استهانوا بها واستخفوا بمضمونها هان عليهم إبادة من جاء بها من المرسلين ومن دعا بدعواها من المؤمنين، وقد جاء العقاب في قوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مناسبا لفعلهم واستهانتهم بتلك الآيات، فالبشرىٰ تكون في الخير، ولكنه عدل بها عن معناها في سياق وعيدهم تهكما وسخرية جراء فعلهم بآيات الله واستهزائهم بها.

---

(١) نص الحديث"لا يحل دم امرئ يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين؛ التارك الجماعة"،مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، ٤/ ٢٢٣،مكتَبَة المَعارف للنَّشْر، (الرياض) الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م

(٢) مفاتيح الغيب ٣/ ٥٣٥

وقد تكررت الأفعال المضارعة مع كل جرم من جرائمهم؛ لإفادة أن هذه الجرائم هي دأبهم وديدن طباعهم في كل زمان، ولو تكرر إرسال الرسل بالآيات لكان هذا حالهم، وهذا ما حدث بعد بعثة النبي ﷺ فقد كفروا بما جاء به، وتعددت محاولات قتله ﷺ، وعاهدوا المشركين علىٰ حربه.

٣- أما عن الآية الثانية في هذه السورة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1] (آل عمران:١١٢)

فجاءت في معرض الموازنة بين أمة الإسلام وأهل الكتاب، فبعدما بين الحق سبحانه أسباب عزة الأمة الإسلامية ودواعي خيريتها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ... [2]﴾، قابل ذلك ببيان أسباب امتهان اليهود وضرب الذلة عليهم التي منها كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق.

ويلاحظ أن بين الآيتين احتباك؛ حيث قابل أمر المؤمنين بالمعروف ونهيهم عن المنكر -﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الذي هو دليل امتثالهم

(١) ((إلا بحبل من الله المراد: إلا بعهد من الله وعصمة وذمام من الله ومن المؤمنين لأن عند ذلك تزول الأحكام، فلا قتل ولا غنيمة ولا سبي)) السابق ٨/ ٣٢٨

(٢) أخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية، ثم قال: يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها -يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن قبلهما الإيمان بالله -. فتح القدير بتصرف يسير ١/ ٤٢٧.

لأوامر نبيهم ﷺ وتوقيره وسيرهم علىٰ دربه-، بقتل اليهود أنبياءهم بعدما أمروهم بتنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه-﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾-، كما قابل إيمان المؤمنين بالله – ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ –الذي يلازمه الإيمان بآياته، بكفر اليهود بآيات الله -﴿ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾- الذي يتبعه كفرهم بالله، ومن خلال هذا اللون البلاغي تجلىٰ معنىٰ التعظيم والتشريف لآيات الله بإضافتها للفظ الجلالة في الآية، وكيف كان تمسك المؤمنين بها وإجلالهم لها سببا في نيل العزة والخيرية علىٰ سائر الأمم في أي زمان ومكان، وأن تفريط اليهود فيها وكفرهم بها سبب في ضرب الذلة والمسكنة عليهم واستحقاقهم الغضب من الله، كما أفادت الإضافة للفظ الجلالة في سياق امتهان اليهود وتوعد الله لهم، بيان جلال عظمته وقدرته علىٰ إنفاذ ما توعدهم به جراء امتهانهم لآياته وقتلهم أنبيائه،ويلاحظ أنه جمع لفظ "الأنبياء" هنا جمع كثرة بخلاف جمعه في آية البقرة وآل عمران،كما نكر لفظ "حق" كما في آية آل عمران،فأفاد بهذا المبالغة بتأصل هذا الوصف فيهم.

٤- أما عن آية النساء وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] (النساء:١٥٥).

جاءت الآية في سياق سرد جرائم اليهود التي اقترفوها في حق الله وآياته ورسله منذ مبعث سيدنا موسىٰ عليه السلام إلىٰ مبعث خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، فبدأت الإشارة إلىٰ هذه الجرائم من قوله: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ

(١) "جمع أغلف وهو المتغطي بالغلاف أي بالغطاء، فهي لا تفقه ما تقولون" ينظر مفاتيح الغيب ٢٥٩/١١

سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء:١٥٣)، وآية الشاهد التي جاءت إضافة لفظ (الآيات) فيها للفظ الجلالة -﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾- قريبة النسج مما ورد في سورتي (البقرة وآل عمران)؛ حيث أفادت ما أفادته الإضافة في الموضعين السابقين من الإشارة إلىٰ عظم جرم هؤلاء الطغاة وجرأتهم علىٰ الخوض في آيات الله،مع ما فيها من الدلالة علىٰ عظمته وبسط سلطانه علىٰ هؤلاء الذين لم يغتنموا سبل النجاة التي منحهم الله إياها، والتي منها الامتثال لآياته وتصديق رسله، وقد نص علىٰ عقوبتهم في آيتي البقرة وآل عمران بغضب الله وضرب الذلة والمسكنة عليهم، بينما في سورة النساء حذف متعلق الباء الدال علىٰ وبال أمرهم في قوله:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب[1]،وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾،علة لعدم استجابتهم لما دعت إليه تلك الآيات،واستعار لفظ "غلف" لمعنىٰ الاحتجاب وعدم التفقه في مراد الله منها،وقوله: ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ بيان للسبب الرئيس في صدهم عن آيات الله،واستعار الطبع لمعنىٰ عدم نفاذ الإيمان إليها.

٥- قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ

(١) في متعلق الباء في قوله فبما نقضهم قولان الأول: أنه محذوف والحذف أفخم؛ لأن عند الحذف يذهب الوهم كل مذهب، الثاني: أن متعلق الباء هو قوله: "فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم"،واعلم أن القول الأول أولىٰ، لأن تلك الجنايات المذكورة عظيمة جدا يليق أن يفرع عليه العقوبة العظيمة، وتحريم بعض المأكولات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقه بتلك الجنايات العظيمة،ينظر السابق ١١/ ٢٨٥

ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(آل عمران: ١، ٤)

تعد هذه الآيات من براعة استهلال سورة آل عمران؛ لاشتمالها علىٰ أجل أغراضها وهو: التنويه بالقرآن الذي جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وبيان أحوال الذين كفروا به وخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، وقد لوحظ أن تلك السورة اشتملت علىٰ عشرة مواضع أضيف فيها لفظ (الآيات) للفظ الجلالة دون جميع أسمائه، أربعة منها تَوَّعد بالعذاب لأهل الكتاب الذين كفروا بآيات الله، وثلاثة مواضع جاءت في معرض التوبيخ لهم، وموضع في الثناء علي آيات الله، وموضعان في معرض الثناء علىٰ من آمن منهم بها، وقد وزعت هذه المواضع علىٰ ما جاء في خطة البحث حسب المخاطبين بها.

وقد جاء استهلال سورة آل عمران ببيان تفرد الله ﷻ بالإلهية وإنزاله الكتب السماوية التي ختمت بالقرآن، ووصفه بأنه الحق فيما اشتمل عليه وأخبر به، وكونه مصدقا لما جاءت به الكتب السابقة من التوراة والإنجيل، وهذا تمهيد لبيان سوء عاقبة من ناصبه العداء من المشركين، ومن قبلهم اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم أعلم الناس بخروج تلك الكتب السماوية من مشكاة واحدة، فكيف ينكرون صدقه وصدق ما جاء به ؟!،ومفاد القصر بتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ تشريف للنبي باصطفاء الله له من بين بني البشر بتلقي أشرف كتبه،والتقييد بلفظ "الحق" رد لمطاعن المشركين في اختلاق هذا الكتاب وافترائه،وقوله: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي نزله حال كونه مصدقا وموافقا لما دعت إليه الكتب السابقة،وخص منها التوراة والإنجيل بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ ثم رجع إلىٰ

التنويه بالقرآن بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ دلالة علىٰ كونه مهيمنا علىٰ تلك الكتب السماوية وناسخ لأحكامها،وفي تسميته هنا بـ الفرقان" مناسبة لما جاء في السورة من أمور فرق بها بين الحق والباطل الذي اختلقه أهل الكتاب كالحديث عن خلق عيسىٰ عليه السلام ورفعه إليه ومحاجاة أهل الكتاب في سيدنا إبراهيم عليه السلام ونفي كونه يهوديا أو نصرانيا،وغير ذلك من قضايا حسمها القرآن.

بعدما أثني علىٰ كتابه انتقل لبيان حال الطاعنين فيه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾،فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة مناسب لسياق الآية الذي صرح بتوعد المنكرين لتلك الآيات، فأومأ بلفظ الجلالة إلىٰ قدرة الخالق سبحانه وإحكام سيطرته التي تمكنه من إنفاذ ما توعد به هؤلاء الذين لم يقدروا قدر آياته، ولم يضعوها موضعها الذي يليق بها، وأكد هذا المعنىٰ بتكرار لفظ الجلالة في جملة التذيل: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾،وتنكير لفظ العذاب، ووصفه بالشديد، والتعريف باسم الموصول الذي أومأ إلي وجه بناء الخبر أنه من جنس العذاب، كما أفادت الإضافة أيضا معنىٰ التعظيم والتكريم لهذه الآيات الدالة عليه سبحانه؛ لأن جلالها مستمد من جلاله، وعظمتها منبثق من عظمته وقدرته سبحانه.

٦- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(آل عمران:١٩)

يرتبط هذا الشاهد بما ورد في الشاهد الأول برباط دقيق،لأنه لما نوه في الشاهد الأول بامتنانه علىٰ الأمم بإنزال الكتب السماوية وجعلها نبراسا يهدي كل أمة علىٰ

حده وأن السابق منها يهدي إلىٰ اللاحق،جاء هنا ليقرر فضيلة الإسلام الذي ختمت به الديانات وأنه الدين الذي لا يعتد بغيره،فقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾،فتعريف طرفي الإسناد أفاد معنىٰ القصر؛ أي: لا دين يعتد به ويرجىٰ النجاة من خلاله-زمن الإخبار بهذا الخبر-غير دين الإسلام، والإسلام هنا عَلم بالغلبة علىٰ مجموع الدين الذي جاء به النبي ﷺ[1])، ثم قررت الجملة الثانية المصاغة في قالب القصر من طريق النفي والاستثناء أن اختلاف أهل الكتاب في عقائدهم الباطلة[2] حدث بعدما جاءهم العلم، أي الوحي الذي أيد الله به أنبياءهم، فـ «العلم الذي جاءهم كان من شأنه أن يصدهم عن الاختلاف في المراد، إلا أنهم أساءوا فكانوا علىٰ خلاف مراد الله من إرسال الهدىٰ»[3]،ولو أنهم اتبعوا هَدي كتبهم كما زعموا لأسلموا ولكنهم ضلوا وأضلوا،فالغرض من الآية هو: تبكيت أهل الكتاب وتوبيخهم علىٰ تمسكهم بما ابتدعوه من معتقدات فاسدة رغم علمهم ببطلانها،ثم ختم بتوعد من حاد عن طريق الحق الذي أبانه من جهة آياته التي أيد بها رسوله قائلا: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ .

فإضافة لفظ (الآيات) في هذا السياق للفظ الجلالة إضافة تشريف وتعظيم لتلك الآيات التي أوضح الله لهم من خلالها طريق النجاة وسبيل الوصول لرضوانه،

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣/ ١٨٩،١٩٠

(٢) وهي قول اليهود: عزير بن الله، وقول النصارىٰ المسيح بن الله وإنكارهم نبوة النبي محمد (ﷺ)، وقولهم: نحن أحق بالنبوة من قريش، لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب،ينظر مفاتيح الغيب ٧/ ١٧٢

(٣) التحرير والتنوير ٣/ ١٩٩

ولكنهم لم يضعوها نصب أعينهم، ولم ينفذوا مراد الله منها، كما أفادت الإضافة للفظ الجلالة دون لفظ (رب) أو غيره من الأسماء، تذكير أهل الكتاب بعظمة الخالق سبحانه وقدرته علىٰ سرعة إنجاز وعيده فيهم ما داموا باقين علىٰ عقائدهم الباطلة وكفرهم بتلك الآيات البينات، وهذا ما أكده بتكرار لفظ الجلالة في ختام الآية الذي أفاد التهديد: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

٧- قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ (آل عمران:٧٠)

٨- وقال أيضا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾(آل عمران:٩٨)

اتحد مضمون الآيتين في معنىٰ الإنكار علىٰ أهل الكتاب الكفر بآيات الله التي يعلمون مضمونها ويدركون ما فيها، إلا أن الأولىٰ إنكار مباشر من الله لهم، والثانية أمر لنبيه بالإنكار عليهم، ويبدو من خلال السياق أن خطاب الله لأهل الكتاب في الآية الأولىٰ جاء بعد ادعاء اليهود كون سيدنا إبراهيم عليه السلام يهوديا، وادعاء النصارىٰ أنه نصرانيا، فتولىٰ الله دفع ذلك ونفيه عن خليله دون وساطة فقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(آل عمران:٦٧)، والمراد بالآيات هنا إما التوراة والإنجيل، والكفر بها؛ إنكار ما جاء فيها أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما، وإما المراد آيات القران، وكفرهم بها: إنكار صدق ما أخبرت به(١)، وأكد معنىٰ الإنكار عليهم بختام الآية الأولىٰ بتقدم المسند إليه علىٰ الخبر الفعلي ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾؛ لأنهم كفروا بتلك الآيات وهم يشهدون بصدق

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٨/ ٢٥٦

ما فيها ـ بينما جاءت الآية الثانية لأمر للنبي ﷺ بالإنكار عليهم بعدما بيّن فضائل الكعبة ووجوب الحج إليها، لمحاولتهم «صد أتباعهم عن حج الكعبة وترغيبهم في حج بيت المقدس بتفضيله علىٰ الكعبة»(١)، فالأمر للنبي ﷺ بالإنكار عليهم كفرهم بآيات الله، ربما كان حثا له علىٰ بيان مزيد من فضائل البيت الحرام علىٰ غيره من البيوت التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه؛ ليتبين للناس أن نكرانهم وجحودهم فضائله ما كان إلا بغرض الانتصار لملتهم وصرف الناس عن دين الإسلام، وختم الآية بالجملة الحالية: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ يتعلق بالإنكار عليهم كفرهم، أي: ما كان ينبغي أن تكفروا بآيات الله والحال أن الله مطلع علىٰ ما تعملون ـ

ومن هنا يتبين أن إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في سياق الإنكار علىٰ أهل الكتاب في الآيتين أفاد مدىٰ عظمة تلك الآيات التي أزاحت إفكهم ودحضت كذبهم الذي يلبسون من خلاله الحق ثوب الباطل وهم يعلمون، وذلك بادعائهم كون إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا، وادعاء فضيلة المسجد الأقصىٰ علىٰ المسجد الحرام، فمفاد الاستفهام الإنكاري في الموضعين: إبلاغهم أنه ما كان ينبغي أن يصدر منهم هذا الكفر بعد ما تبين لهم الحق من خلال آيات الله التي في كتبهم، وبآيات القران التي جاءت مصدقة ومقررة لما فيها.

٩- قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ

(١) التحرير والتنوير ٤/ ٢٦

ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) (آل عمران: ١١٣ – ١١٥)

تتعلق هذه الآية بالآية التي قبلها(٢)،فبعدما جلَّا الحق سبحانه حال أهل الكتاب من ثبات أكثرهم علىٰ الكفر بآياته وعدائهم له ولأنبيائه، جاء في هذا الموطن ليشيد بطائفة منهم اهتدت بهدي الإسلام فزادهم الله هدىٰ وآتاهم تقواهم، ويلاحظ أن الإيمان بآيات الله والكفر بها كان أول معيار للتفاضل بين الفرقتين، فأول الأسباب التي ذكرت في استحقاق الفرقة الأولىٰ ضرب الذلة والمسكنة عليهم،واستحقاق الغضب من الله هو كفرهم بآياته، بينما كان أول أسباب لاستحقاق الفرقة الثانية أن تكون في زمرة الصالحين المتقين هو إجلالهم لآيات الله وتوقيرهم لها ودوام تلاوتها آناء الليل، وهنا تتجلىٰ كرامة وشرف تلك الآيات التي هي سبيل كل سبيل يوصل إلىٰ الله ﷻ، وهذا ما أفادته الإضافة للفظ الجلالة في قوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (٣)﴾، فعظمة تلك الآيات حاضرة في قلوبهم، وتمسكهم بها

---

(١) روي أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قال لهم بعض كبار اليهود: لقد كفرتم وخسرتم، فأنزل الله تعالىٰ لبيان فضلهم هذه الآية،ينظر السابق ٨/ ٣٣١

(٢) وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ آل عمران ١١٢،سبق دراستها ص ٤٢

(٣) يقول الإمام الفخر الرازي: ((اعلم أن كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وأفضل الأعمال الصلاة وأفضل الأذكار ذكر الله، وأفضل المعارف معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، فقوله يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إشارة إلىٰ الأعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله: "يؤمنون بالله واليوم الآخر"،إشارة إلىٰ فضل المعارف الحاصلة في قلوبهم فكان هذا إشارة إلىٰ كمال حالهم في القوة العملية وفي القوة النظرية، وذلك أكمل أحوال الإنسان،

ارتقىٰ بهم في مدارج الإيمان، فأخذوا يمتثلون أوامرها بالمسارعة في الخيرات، ويجتنبون نواهيها بالبعد عن المنكرات، ويتلذذون بدوام تلاوتها آناء الليل وأطراف النهار،وفي تكرار الأفعال المضارعة ﴿يَتْلُونَ ،يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ ،يَأْمُرُونَ ،يَنْهَوْنَ ،يُسَارِعُونَ ﴾ أفادت تجدد تلك الأفعال منهم وحدوثها مرة بعد أخرىٰ عند تجدد أسبابها،والإشارة إليهم بما يشار به للبعيد والقصر بتعريف طرفي الإسناد في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ما يفيد تأكيد بُعد مكانتهم وعلو شرفهم واستحقاقهم أن يكونوا في زمرة الصالحين لأجل تلك الفعال.

١٠- قال تعالىٰ:﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩٩).

ورد أن هذه الآية نزلت في نعي النجاشي ملك الحبشة الذي آمن بالنبي ﷺ ولم يره، وبهذا يكون (النجاشي) مثالا لمن آمن من النصارىٰ كما كان (عبدالله بن سلام) مثالا لمن آمن من اليهود، فأولئك يؤتون أجرهم مرتين، فإنزال الله قرأنا في شأنهما يعد من تمام الثناء علىٰ من آمن من أهل الكتاب وامتثالهم لما جاء في كتابيهما من وجوب الإيمان بنبي الإسلام وبما جاء به، وهذا ما نصت عليه آية الشاهد: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾، والتقييد بالحال المصاغ في قالب اسم الفاعل (خَٰشِعِينَ)، أفاد ثبوت هذا الوصف لهم علىٰ الدوام فلا تراهم إلا علىٰ هذه الحالة من الخشوع، والإشارة إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد، دلالة علىٰ بعد منزلتهم

وهي المرتبة التي يقال لها: إنها آخر درجات الإنسانية وأول درجات الملكية)) مفاتيح الغيب ٨/ ٣٣٣

ورقي درجاتهم عند الله،وقدم الجار والمجرور "لهم" دلالة علىٰ الاختصاص،فلا ينال هذا الأجر سواهم كرامة لحسن صنيعهم وجمعهم بين الحسنيين،ويؤكد هذا قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ (القصص: ٥٤)،وزاد من طمأنتهم بضمان أجرهم بقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾،وناسب الحديث عن أجرهم بإضافة الظرف لاسم الله "رب" الدال علىٰ الإكرام والإنعام،وإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، بيان لعظمة وجلال هذه الآيات في قلوبهم واحتفائهم بها؛ لأنها سبب هدايتهم ونجاتهم ووصولهم لدرجة القرب من الله تعالىٰ، وهذا أيضا تعريض بغيرهم ممن أدركوا نور الحق يتجلىٰ أمامهم أعينهم ولكنهم رضوا أن يبقوا في غياهب الكفر كبرا وعنادا؛ لذا كان ختام الآية وعيدا لهم بسرعة إدراك حسابهم ومجازاتهم علىٰ كفرهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي «عالما بجميع المعلومات فيعلم ما لكل واحد من الثواب والعقاب»(١).

١١- قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة:٥)

استهلت سورة الجمعة ببيان قرأني يصرح بأن كل من في السماوات والأرض يخضع لله سبحانه بالتسبيح والتنزيه، ثم مهدت لآية شاهد الدراسة بالتنويه ببعثة النبي ﷺ وامتنان الله به علىٰ أمة العرب، وأنه سبب لهدايتهم ومن بعدهم، ثم جاءت تلك الآية التي نصت علىٰ ذم اليهود الذين علموا بما تضمنته التوراة من تعاليم وأحكام ومع ذلك لم يمتثلوا لها ولم يعملوا بموجبها، ومن ذلك كتمان:«العهد باتباع النبي

(١) السابق ٩/ ٤٧٣

الذي يأتي لتخليصهم من ربقة الضلال»[١] ، فشبه حالهم من حمل التوراة وعدم انتفاعهم بما فيها بحالة حمل الحمار لكتب العلم وجهله بما فيها، والوجه: عدم الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل العناء في حمله وتحصيله، «والمراد بالآيات هنا الآيات الدالة علىٰ صحة نبوة محمد ﷺ، وهو قول ابن عباس ومقاتل، وقيل: الآيات التوراة؛ لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد ﷺ، وهذا أشبه هنا»[٢]، وعلىٰ كلا الاحتمالين فقد كشفت إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في سياق ذم اليهود في الآية عن مدىٰ حقارة هؤلاء الذين لم يدركوا جلال وعظمة تلك الآيات التي حفظوا رسوم خطها ولكنهم لم ينتفعوا بمضمونها، ولم يعملوا بموجب أمرها ونهيها، ومن ذلك الأمر باتباع النبي ﷺ، ولو كان لديهم قدر من إدراك شرفها وجلال قدرها المنبثق من عظمة الخالق سبحانه لظلت أعناقهم لها خاضعة بالطاعة والانصياع، ولكن أعرضوا عنها وكذبوا بما فيها، فاستحقوا الإضلال من الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

(١) التحرير والتنوير ٢٨/ ٢١٣

(٢) مفاتيح الغيب ٣٠/ ٥٤٠

المبحث الثاني: إضافة لفظ الآيات للاسم (رب)

المطلب الأول إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) في سياق الحديث عن المؤمنين)

معلوم أن لفظ (رب) يرد في سياقات تدل علىٰ معنىٰ التفضل والتكرم من الله علىٰ العباد؛ لأنه «يشع منه معاني التربية والإنعام والتدبير والرعاية...وفيه من روح التودد وإلانة الخطاب»(١)، ويبدو هذا جليا عند إضافة لفظ الآيات إليه في سياق الحديث عن المؤمنين كما في قوله تعالىٰ علىٰ لسان سحرة فرعون:

١- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ (الأعراف:١٢٥، ١٢٦)

تحكي الآية جواب السحرة علىٰ ما توعدهم به فرعون بعد إيمانهم برب موسىٰ وهارون (عليهما السلام)، وقد كشفت مقولتهم عن مدىٰ تمكن الإيمان في قلوبهم بعدما تبين لهم الحق حتىٰ صار الموت الذي توعدهم به فرعون أحب شيء إليهم رغبة في تعجيل لقاء الله، فدعوا الله أن يفرغ الصبر عليهم كي يتمكنوا من مقاومة وعيد فرعون وإذهاب ما يخالط قلوبهم من الخوف، ويلاحظ تكرار اسم الله "رب" ثلاثة مرات في هذا السياق،الأول: عند إخبار فرعون بأنهم عائدون إلىٰ ربهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾،حيث أرادوا تسلية نفوسهم علىٰ مجابهة وعيد فرعون وطمأنتها أن الموت مصير كل حي عاجلا أم آجلا،وأن المنقلب إلىٰ الله لا لغيره،وخص اسم الله "رب" الذي يرد في سياق الإنعام لمزيد طمأنة قلوبهم بجزيل عطاء الله لهم جراء إيمانهم،الثاني: عند التصريح بالإيمان بآيات الله: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ فأضاف لفظ الآيات لاسم الله "رب" للإقرار منهم بأن هذه الآيات

(١) دراسات جديدة في إعجاز القران ص ٢٠٨ بتصرف يسير

التي جاء بها موسىٰ عليه السلام هي نعمة من رب الأرباب منَّ بها عليهم ليمنحهم النجاة، ولولاها لنالهم العقاب في الدنيا والآخرة، فما كان لفرعون أن يعيب عليهم الإيمان بها والتسليم بمدلولها،والثالث: عند طلبهم من الله أن يتم عليهم فضله وكرمه بإفراغ الصبر عليهم حتىٰ يلاقوه وهم علىٰ الإيمان ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾،فاستعار إفراغ الصبر لعمومه ظاهر أجسادهم التي تتلقىٰ العذاب وباطنها بالربط علىٰ قلوبهم بالإيمان.

٢- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٧ ٦٠)

تعد هذه الآيات من رد عجز سورة المؤمنون علىٰ صدرها،لكونها تتمة لأوصافهم التي استهلت بها تلك السورة،فمدحهم هنا بأنهم دائمو الخشية من الله، مؤمنون بآياته، مواظبون علىٰ توحيده، منفقون في سبيله، مسارعون في الخيرات لابتغاء مرضاته، ويلاحظ تكرار لفظ "رب" مع كل وصف مُدح به هؤلاء الأخيار؛ دلالة علىٰ تمام إقرارهم بأنه سبحانه هو المنعم والمتفضل عليهم بنعمائه التي يتقربون بها إليه،فمسارعتهم في تلك الخيرات ما كان إلا لأجل الاعتراف بالفضل والمنة له وحده؛ لأنهم ما كانوا ليدركوها إلا بتوفيقه وإنعامه وتفضله عليهم،وفي تكرار اسم الموصول مع كل وصف ثبت لهؤلاء ما يفيد كمال كل وصف من هذه الصفات فيهم علىٰ حدة، وأكد ذلك أيضا بتكرار ضمير الفصل الدال علىٰ القصر،كما أفاد تكرار أفعال المضارع في الآيات علىٰ تجدد تلك الأفعال منهم وحدوثها.

وإضافة لفظ (الآيات) في موطن الشاهد لاسم الله "رب": ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ للإشارة إلىٰ أن تلك الآيات هي أجل نعم الله عليهم؛ لأنها مصدر دعوتهم لتلك الأفعال التي يتقربون بها إلىٰ الله، والتي مدحهم بها في هذا السياق، لذا عضوا عليها بالنواجذ وجعلوها نصب أعينهم؛ فالتزموا أوامرها واجتنبوا نواهيها وأرضوا بها خالقهم، فأصلح حال معاشهم في الدنيا وأدام نعيم خلودهم في الآخرة، كما أفاد المضارع في قوله: (يؤمنون) تجدد إيمانهم كلما طالعوا تلك الآيات، ومع تجدد إيمانهم بها تتجدد أفعالهم التي مدحوا بها، فيزدادوا خشية وإيمانا بربهم، كما يزداد عطاؤهم ومسارعتهم في الخيرات.

٣- قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(الفرقان:٧٣).

جاءت الآية في سياق مدح طائفة من المؤمنين اصطفاهم الله وشرفهم بلقب عباد الرحمن لأوصاف توافرت فيهم، وخصال داوموا عليها في حياتهم، من هذه الخصال دوام حرصهم علىٰ التذكر بآيات ربهم والانتفاع بما تضمنته من أوامر ونواهي ومواعظ وعبر، فمعنىٰ ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ «أنهم إذا ذكِّروا بها أكبوا عليها حرصا علىٰ استماعها، وأقبلوا علىٰ المذكِّر بها وهم في إكبابهم عليها، سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية»(١)، فسياق الآية دعوة لانتهاج نهج هذه الطائفة المصطفاة من الله ﷻ، وتعريض بمن ينكب علىٰ آيات الله مع غياب جوارحه، فالعبرة بالتدبر والعمل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد ٣٤)، والوصف هنا أعلىٰ قدرا مما في آية المؤمنون﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾،حيث زادوا علىٰ إيمانهم بها التدبر والوعي والعمل.

(١) الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٩٥

وإضافة لفظ (الآيات) لاسم الله (رب) مناسب لمقام التفضل والتكرم من الله عليهم بهذه النعمة الجليلة؛ حيث جعلهم من أمة القرآن التي هي خير الأمم، فقابلوا هذه النعمة بالتقدير والإجلال، ومنحوه جل اهتمامهم بجميع جوارحهم تدبرا وعملا، فنعموا في رحابه، وحيوا حياة طيبة في جواره،ونالوا الغرفة في الآخرة بصبرهم علىٰ الطاعات التي تضمنتها تلك الآيات ـ

٤ – قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ (النجم:١٨).

تؤكد الآية رؤية النبيﷺ لمشاهد عظيمة وأمور جسيمة في العالم العلوي ليلة أسري به، واختلف العلماء في هذه الآيات فقيل: «رأىٰ رفرفا سد الأفق، وقيل: رأىٰ جبريل في حلة خضراء، قد ملأ ما بين السماء والأرض، له ستمائة جناح،... وقيل رأىٰ سدرة المنتهىٰ، وقيل: هو كل ما رآه تلك الليلة في مسراه وعوده»(١)، وهذا أحوط في عموم لفظ الآيات الذي يدلل علىٰ كثرة المشاهد التي رآها ﷺ بغرض التثبيت واستنهاض همته في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وفي إضافة لفظ (الآيات) للفظ (رب) المضاف لضمير النبي ﷺ مناسب لسياق الآيات السابقة التي أشارت إلىٰ نعم الله التي تفضل بها عليه في هذه الرحلة؛ حيث أدناه منه وأوحي إليه ما أوحىٰ، وطوّف به في جنة المأوىٰ، فرأىٰ من نعيمها وما أعده له ولمن تبعه واقتفىٰ أثره، وإن كان قد رأىٰ من مشاهد أهل النار فصّلتها الأحاديث المروية عنه ﷺ إلا أن الآيات السابقة لم تشر إلىٰ شيء منها، وهنا يبدو سر إضافة لفظ (الآيات) للفظ (رب) في هذا السياق؛ للدلالة علىٰ سعة الإنعام والإكرام من الله لنبيه ﷺ في هذه الليلة المباركة،وتأكيد الكلام بقد واللام جاء مناسبا لمجابهة إنكار المشركين الذين أنكروا عليه تلك الرحلة .

(١) فتح القدير للشوكاني ٥/ ١٢٩ بتصرف يسير

المطلب الثاني: (إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) في سياق خطاب المشركين)

ورود إضافة لفظ (الآيات) لاسم الله (رب) -الدال علىٰ الإنعام والإفضال- في سياق خطاب المؤمنين جاء علىٰ بابه من بيان تجلّيه سبحانه عليهم بكرمه وعطائه واعترافهم له بهذا الفضل، ومما يدعو للتأمل ورد إضافة لفظ (الآيات) لاسم الله (رب) في سياق خطاب المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا يعترفون له بفضل أو منة، وفيما يلي بيان لتلك المواضع وسر العدول فيها عن إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة إلىٰ إضافته لاسم (رب).

١- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (الأنعام:٤)

٢- وقال أيضا: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(يس:٤٦)

اتفقت كلا الآيتين في مضمون المعنىٰ وطريقة النظم، فكشفتا معا عما جبلت عليه نفوس المشركين من بلاهة عقولهم وتعطيلها عن التفكر فيما بين أيديهم من آيات الله ﷻ الدالة علىٰ استحقاقه العبادة وانفراده بها دون سواه، ومع هذا الاتفاق في المعنىٰ وطريقة النظم إلا أنهما اختلفتا في سياقهما، فجاءت الأولىٰ ضمن ما استهلت به سورة الأنعام للإشارة إلىٰ بعض ما ستتناوله تلك السورة من جدال المشركين وبيان سفاهة عقولهم وإعراضهم عن آيات الله الدالة عليه، يقول ابن عاشور في أغراض سورة الأنعام أنها «أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم واحتجاج علىٰ سفاهة أحوالهم»(١)، فموطن تلك الآية يعد من براعة المطلع في

(١) التحرير والتنوير ٧/ ١٣٣

هذه السورة؛ لأن أغلب ما فيها يرجع معناه أو يشير إلىٰ بيان إعراض المشركين عن آيات الله وعدم التفكر فيها.

أما عن سياق الآية الثانية فجاءت في منتصف سورة (يس) بعد تعداد آيات تدل علىٰ قدرة الله ﷻ وتفضله بها علىٰ عباده، فغرضها يتفق مع الآية الأولىٰ في بيان إعراض المشركين عن التفكر في تلك الآيات الدالة علىٰ وجوب إفراده بالعبودية، سواء كانت آيات كونية أو آيات أيد بها رسله تمهيدا لتصديقهم.

ومن هنا يتضح سر إضافة لفظ (الآيات) للفظ (رب) في سياق الحديث عن إعراض المشركين في الآيتين، وهو بيان أن تلك الآيات رحمة من ربهم وكرمه عليهم، وهَبها لهم ليتفكروا في مانحها ويتدبروا في سابغها إن كانت لهم قلوب تعي وعقول تتدبر، وليعلموا البون بين المُنعم سبحانه وبين من جعلوهم أندادا من دونه ولا يملكون لهم نفعا ولا ضرا ؛ ليصلوا من خلال تلك الآيات للمستحق والمتفرد بالإلوهية والعبادة، كما أن في الإضافة للفظ (رب) الدال علىٰ الرعاية وحسن التدبير استنزالا لطائر نفورهم ومجادلتهم بالحسنىٰ، وليعلموا أنه من الأولىٰ مقابلة الإحسان بالإحسان، فكيف بهم يقابلون إحسان الله لهم بالكفر والعصيان؟!، وهذا المعنىٰ لا تجده في إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة الدال علىٰ السطوة والجبروت.

وقد أشار ابن عاشور إلىٰ سر إضافة لفظ (رب) إلىٰ ضمير (هم) قائلا: « وإضافة الرب إلىٰ ضمير (هم) لقصد التسجيل عليهم بالعقوق لحق العبودية؛ لأن من حق العبد أن يُقبل علىٰ ما يأتيه من ربه، وعلىٰ من يأتيه يقول له: إني مرسل إليك من ربك، ثم يتأمل وينظر، وليس من حقه أن يعرض عن ذلك إذ لعله يعرض عما إن تأمله علم

أنه من عند ربه»[(١)]، ولأجل غرابة ما يصدر منهم تجاه آيات الله تعالىٰ صيغت الآيتان في قالب القصر من طريق النفي والاستثناء الذي يأتي في مواطن الشك والإنكار، وكأن البديهي في حال أمثالهم والمسلم به ألا يقابلوا تلك الآيات بالصد والإنكار، بل يعرضوها علىٰ عقولهم التي مُيزوا بها من بين سائر الخلائق، ولكنهم لم يمنحوها فرصة التدبر التي خلقت من أجله، فكان هذا موطن الإنكار عليهم.

٣-قال تعالىٰ:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنعام:٢٧)

تصف الآية حالة التندم والتحسر التي تنتاب المكذبين بآيات الله حين عرضهم علىٰ نار جهنم التي أعدت من أجلهم، فيتمنون أن لو ردوا إلىٰ دار الدنيا ليحسنوا العمل بامتثال آيات الله التي ضمَّنها أوامره ونواهيه، وقد استهلت الآية بوصف هول موقف العرض علىٰ النار ليبني عليه سبب تمني المكذبين الرجوع إلىٰ الدنيا لمراجعة أنفسهم واستبدال أعمالهم، ويبدو هول هذا الموقف من خلال أسلوب الشرط ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ [(٢)]﴾، فحذف الجواب تفخيما للأمر وتعظيما للشأن[(٣)]،

---

(١) التحرير والتنوير ٧/ ١٣٤

(٢) ومعنىٰ وقفوا علىٰ النار يحتمل ثلاثة أوجه: الأول: يجوز أن يكون قد وقفوا عندها وهم يعاينونها فهم موقوفون علىٰ أن يدخلوا النار. والثاني: يجوز أن يكونوا وقفوا عليها وهي تحتهم، بمعنىٰ أنهم وقفوا فوق النار علىٰ الصراط، وهو جسر فوق جهنم. والثالث: معناه عرفوا حقيقتها تعريفا من قولك وقفت فلانا علىٰ كلام فلان أي علمته معناه وعرفته. وفيه وجه رابع: وهم أنهم يكونون في جوف النار، وتكون النار محيطة بهم، ويكونون غائصين فيها وعلىٰ هذا التقدير فقد أقيم (علىٰ) مقام (في) وإنما صح علىٰ هذا التقدير، أن يقال: وقفوا علىٰ النار، لأنها دركات وطبقات،،فيصح معنىٰ الاستعلاء،مفاتيح الغيب ١٢/ ٥٠٧

(٣) ينظر السابق ١٢/ ٥٠٧

والحذف هنا أبلغ من الذكر لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، وبناء الفعل ﴿وُقِفُواْ﴾ للمجهول فيه اهتمام بالفعل دون فاعله؛ لأن الغرض هو بيان مدىٰ إحكام القبضة عليهم عند العرض علىٰ النار، فوقوفهم لم يكن بمحض إرادتهم لهول ما ينظرون وشدة ما يعاينون،ولولا السيطرة عليهم لفروا من هول الموقف، ومجيء الفعل المبني للمفعول ماضيا يفيد تأكيد الخبر وتحققه في المستقبل، وكأنه قد وقع بالفعل وها هو يخبر عنه ويرويه.

ويلاحظ أنهم أضافوا في قولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾، لفظ آيات لاسم الله (رب)، مع أن موقف العرض علىٰ النار موقف يكتنفه الهيبة ويحيط به الجلال لما فيه من أهوال وصعاب، وهذا يلائمه لفظ الجلالة (الله) الدال علىٰ القوة والجبروت، ولكنهم عدلوا عنه إلىٰ اسمه الدال علىٰ إنعامه وتفضله استعطافا واسترضاء له سبحانه حتىٰ يمُن عليهم بتلبية مرادهم بالرجوع إلىٰ الدنيا لإحسان العمل كي ينجوا من العذاب، فنقلت الآية ما يخالج نفوس هؤلاء المكذبين من اعتلاج اليأس -المتمثل في التمني بـ (ليت) التي تفيد استحالة تحقق مرادهم- والرجاء المفاد من إضافة لفظ الآيات للفظ (رب) الدال علىٰ التفضل والإحسان، وكأنهم مع فرط يأسهم يأملون بقبول عرضهم بالرجوع إلىٰ الدنيا، ولكن الله ﷻ قطع أملهم بقوله: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٢٨)

٤- قال تعالىٰ:﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ (هود:٥٩)

اشتملت سورة (هود) علىٰ كثير من قصص الأمم السابقة التي نالها عقاب الله في الدنيا، وغرضها الأول هو دعوة مشركي العرب للاعتبار بما حل بهم جراء كفرهم

وجحودهم آيات الله رغم بلوغهم من القوة وترف العيش ما لم يكن في مقدرة العرب بلوغه، ويلاحظ أن لفظ (الآيات) جاء مضافا للفظ (رب) مع أن القرآن لم يذكر آية أو معجزة لهود عليه السلام، قيل «لعل آيته أنه وعدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد، واطراد الخصب وفرة مطردة لا تنالهم في خلالها نكبة ولا مصيبة بحيث كانت خارقة لعادة النعمة في الأمم، كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت:١٥)، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر»(١)، فلما منحهم تلك النعم وجعلها آية علىٰ صدق نبيه عليه السلام كفروا بها، ولم يؤدوا شكرها، وادعوا الفضل لأنفسهم بإيجادها، وسخروها فيما لا نفع فيه، ولهذا أنكر عليهم هود عليه السلام تصرفهم في تلك النعم التي حباهم الله بها بقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾(الشعراء:١٢٧- ١٣٤)، ومن هنا كان الغرض الأسمىٰ في هذا السياق والذي يبدو من إضافة لفظ (الآيات) للفظ (رب) في قوله:﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ هو: الكشف علىٰ سعة إنعام الله وعظيم فضله علىٰ قوم هود عليه السلام ليعتبر المخاطبون من مشركي العرب في زمن النبي ﷺ، وليعرضوا حالهم علىٰ حالهم، ليوقنوا أن هذه النعم التي ينغمسون فيها إنما هي هبة الله لهم، فإذا ما كفروا بها ولم يؤدوا شكرها كان مصيرهم كمصيرهم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ٩٨،والحديث في فيض الباري علىٰ صحيح البخاري لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي ١/ ١٢٢ تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي،دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٥- قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف:٥٧).

٦- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة:٢٢)

يتضح من خلال سياق الآيتين أنهما وردتا في ذم المشركين المعاندين لآيات الله ﷻ ولم ينتفعوا بمضمونها، وقد أضيف لفظ (الآيات) فيهما للفظ (رب) الذي يرد في مقام التفضل والامتنان، مع أن ظاهر الآيتين تهديد ووعيد لمن أعرض عن التذكر بآيات الله والذي يناسبه لفظ الجلالة (الله) الدال علىٰ بسط القوة والجبروت علىٰ معانديه ورافضي دعوته، فلو شاء لأخذهم دون تذكير ودعوة للحق لفعل ﴿ولا يظلم ربك أحد﴾، فالسر في العدول هنا هو المزج بين الترهيب -المفاد من صيغة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ التي تقرر أن مِن أظلم الظلم الذي يوجب العذاب من الله هو الإعراض عن التذكر بآياته،- والترغيب المفاد من إضافة لفظ الآيات للفظ (رب) ففيه استنزال لإعراضهم ودعوتهم للإقبال علىٰ رب الأرباب الذي أرسل بالآيات لأجل هداية الناس لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

وقد اختلف حرفا العطف في جواب الشرط في كلا الآيتين، فعبر بـ (الفاء) التي للترتيب في آية الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ وبـ (ثم) التي للتراخي في آية السجدة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾؛ ليفيد أن المعاندين لآيات الله نوعان: منهم من أغلق قلبه فلم ينفذ إليه شيء من مدلول تلك الآيات، فعند التذكير بها يعرض عنها دون تدبر أو إعمال عقل، وهؤلاء هم

الكافرين الذين تبين أمرهم تجاه الإسلام في مبدأ دعوة النبي ﷺ لهم، وقد ناسب التعبير بالفاء في آية الكهف بيان سبب إعراضهم عن آيات الله ساعة التذكير بها،وذلك في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

والثاني: ما أفاده العطف بـ (ثم) التي للتراخي في آية السجدة؛ أي أنه قد ذُكِّر بتلك الآيات التي بُلِّغ بها، وانتفع بمدلولها، وسعىٰ سعي مرادها، وظل علىٰ ذلك فترة من الزمان، ثم لم يلبث أن استهويته شهواته، واستحوذت عليه رغباته، فانقلب حاله وتغير مآله، وهؤلاء هم المنافقون وأمثالهم الذين استتروا بغطاء الإسلام لمآرب يرجونها وغايات يتطلعون إليها، كما ناسب التعبير بـ (ثم) ما ختمت به الآية من بيان فساد أمره وسوء منقلبه فقال: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ ، ولما كان غرض الآيتين واحد اقتربت صورة نسجهما، فاستهلتا باقتران أسلوب الاستفهام مع صيغة أفعل التفضيل ﴿ومن أظلم﴾، والتي تفيد معنىٰ التقرير؛ أي: لا أحد أظلم ممن استبان له طريق الحق، وبدا له سبيل النجاح ومع ذلك يبتغي به بدلا، ويعرض عنه حولا.

٧- قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف:١٠٣- ١٠٥)

اختلف المفسرون في تعيين الفئة المشار إليها في الآيات، فقيل هم اليهود والنصارىٰ، وقيل الخوارج، والراجح أنهم المشركون من العرب المنكرين للقاء الله[١]، فقد جبلت نفوسهم علىٰ كثير من مكارم الأخلاق التي منحتهم الكثير من

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥

الثواب والنجاة يوم القيامة، ولكنهم لما كفروا بآيات الله ولقائه ازدادت حسراتهم وويلاتهم عندما عاينوا ذهاب ثواب تلك الأعمال هباء منثورا بعدما كانت كفيلة بنجاتهم من عذاب الله لو آمنوا وابتغوا بها وجهه، ويلاحظ أن إضافة لفظ (الآياتْ) للفظ (رب) جاء في سياق التهديد والوعيد وليس في سياق التفضل والإنعام، ولعل السر في ذلك هو زيادة التأنيب والتبكيت والتوبيخ لهؤلاء الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا؛ لأنهم أهملوا أصل قبول أعمالهم الخيرة، وهو الإيمان بآيات ربهم التي حذرتهم لقاءه وهم علىٰ الكفر، فلما عاينوا ما أنذرت به أيقنوا بأنها أجل النعم التي هي مفتاح نجاتهم، لذا كانت حسرتهم أكبر وندمهم أشد علىٰ كفرهم بها،واستهلال الآيات بالاستفهام ﴿هَل نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً﴾ لمزيد من التشويق والتطلع لأوصافهم،فإذا ما أبان عنهم زاد تمكن تلك الأوصاف في أذهانهم،وتعريفهم باسم الموصول لتنبيه المخاطبين علىٰ خطئهم في معرفة الموصوفين بخسارة أعمالهم،والإشارة إليهم في الآية الثانية لمزيد بيان لأسباب محق أعمالهم.

٨- قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ (طه:١٢٤- ١٢٧)

ورد سياق هذه الآيات في معرض التهديد والوعيد لمن أعرض عن ذكر الله وكفر بآياته بعدما ذُكِّر بها، فتوعده الله ﷻ بضيق المعيشة في الدنيا والحشر في الآخرة علىٰ الحالة التي كان عليها تجاه تلك الآيات في الدنيا من الإهمال والإغفال، وقد ناسب صياغة هذا المعنىٰ في قالب الشرط الذي يفيد ترتب الجزاء علىٰ فعل الشرط؛ للتنبيه

إلىٰ مغبة الإعراض عن ذكر الله والكفر بآياته في الدنيا والآخرة،وكون جواب الشرط جملة اسمية مؤكده بـ "إن" ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أفاد تحقق المخبر به وثبوته علىٰ الدوام،وتنكير لفظ "معيشة" ووصفها بالضنك يفيد تحقيرها وازدراءها،وسؤال هذا الشقي عن سبب عماه في الآخرة ورد هنا للكشف عن سوء فعلته لمزيد تحذير وتهديد المخاطبين،ومع أن المقام مقام تهديد ووعيد يلاحظ أن لفظ (الآيات) في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أضيف للفظ (رب) دون لفظ الجلالة الذي يناسب مقام التهديد وقدرة الخالق سبحانه علىٰ هؤلاء الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم؛ للتنبيه علىٰ أن آيات الله هي أجل نعمه التي تفضل بها علىٰ العباد؛ لأنها سبب سعة عيشهم في الدنيا والتمتع برؤية نعيم الآخرة إن امتثلوا ما فيها من أوامر ونواهي، أما من استغنىٰ عن تلك النعمة فقد حق عليه القول في الدنيا بالمعيشة الضنك، وفي الآخرة بالعمىٰ والخزي، كما أن الإضافة لضمير الجمع في قوله:﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ دالة علىٰ تعظيم تلك الآيات وجلال فضلها.

٩- قال تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1] (الزمر:٧١-٧٢)

تخبر الآية عن حال الكفار المعاندين لله ورسله عند سوق الملائكة لهم والإقبال بهم نحو نار جهم لملاقاة مصيرهم الذي أعد لهم، فغرض الآية هنا: تصوير مذلة وإهانة هؤلاء الكفرة الفجرة في اليوم الذي طالما أنكروه وكذبوا الرسل من أجله؛ فبناء

(١) زمرا: جماعات في تفرقة،نظم الدرر ١٦/ ٥٤٦

الفعل (سيق، وقيل) للمجهول اهتماما بمدلول الفعل الدال علىٰ الامتهان والإذلال دون النظر لفاعل الفعل، وتعريفهم باسم الموصول "الذين كفروا" لتميزهم بهذا الوصف تشنيعا وتقبيحا لهم،وكون سوقهم جماعات متفرقة " كل شخص مع من يلائمه في الطريقة والزمرة" (١)،وذكر غاية الانتهاء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ لمزيد بيان امتهانهم وصغارهم؛ لأنه «لما كان إغلاق الباب المقصود عن قاصده دالاً علىٰ صغاره، دل علىٰ أن أمرهم كذلك» (٢) وسؤال الملائكة لهم ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أفاد معنىٰ التقرير لأجل التوبيخ علىٰ عدم الامتثال والاستجابة لما جاءت به الرسل.

وإضافة لفظ (آيات) لاسم الله (رب) في سياق الحديث عن حال الكفار ساعة سوقهم للعذاب أفاد معنىٰ التبكيت وزيادة اللوم والتوبيخ لهم علىٰ تفريطهم في تلك الآيات التي أنعم الله بها عليهم لتحذرهم من هذا المصير الذي لم يتحققوا منه إلا برؤيته، فسياق الآية يفيد إظهار قدرة الله علىٰ هؤلاء الكفار المعاندين يوم القيامة والذي يناسبه الإضافة للفظ الجلالة، ولكنه عدل عنه للإضافة للفظ (رب) إبلاغا لهم أن هذه الآيات كانت محض الرحمة لهم، وزيادة في لومهم وتوبيخهم في هذا الموطن ليستشعروا عظمة ما فرطوا فيه.

(١) السابق ١٦/ ٥٤٦

(٢) السابق ١٦/ ٥٤٦

المبحث الثالث:

اجتماع إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة مع إضافته للفظ رب في سياق واحد

لوحظ أثناء جمع شواهد تلك الدراسة اجتماع إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة مع إضافته للفظ (رب) في سياق واحد، فكان لا بد من إفراد مبحث يتناول هذه المواطن للكشف عن سر هذا الجمع، وهي علىٰ ترتيب السور كما يأتي:

١-قال تعالىٰ:﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٥-١٥٨)

تشير الآيات إلىٰ مكانة الكتاب الذي نزله رب العزة سبحانه علىٰ نبيه محمد ﷺ لقطع حجة المشركين بأن الكتب التي نزلت إنما نزلت علىٰ غيرهم من الأمم، وأنهم غافلون عن الدراسة والاهتداء بما فيها، وأنهم لو نزل عليهم كتاب لكانوا أسرع إلىٰ الهدىٰ من غيرهم، فقيل لهم: قد جاءكم بيان من الله وهدىٰ(١)، فبعد قطع الحجة عليهم توعدهم بسوء العذاب إذا بادروا بالتكذيب بآيات الله والعزوف عنها، فإضافة

(١) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي ٢/ ٣٦٥،تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.

لفظ (الآيات) للفظ الجلالة دون غيره من الأسماء في قولة: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ مناسب لسياق توعد الله لهؤلاء الذين كذبوا بآياته وأعرضوا عنها، لما يفيده لفظ الجلالة من بيان قدرة الله وعظمته في إنفاذ ما توعد به لعلهم يرجعون عن ظلمهم لأنفسهم بالتكذيب، وظلم غيرهم بصدهم عن الإيمان بآيات الله، ويلاحظ أنه أضاف لفظ الآيات لذته سبحانه عند ذكر عقوبة الصد عنها فقال: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ تعظيما لهذه الآيات، وبيان أن الصد عنها أعظم جرما من التكذيب بها؛ لأن المكذب يقع جرمه علىٰ نفسه، أما إذا سعىٰ بعد التكذيب في صد غيره عنها كان جرمه جرمين،لذا كان إسناد الجزاء له سبحانه دلالة علىٰ عظم جرمهم وكبير وزرهم.

بعدما قطع عليهم حجتهم انتقل إلىٰ تحذيرهم من تماديهم في كفرهم وعزوفهم عن الإيمان والتوبة إلىٰ الله قبل فوات وقتها، فقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٨)

فهذا التحذير في ذاته رحمة من الله وسعة حلم بعباده الذين حادوا عن طريقه وفرطوا في جنبه؛ حيث أمهلهم ولم يَعْجَل بمؤاخذتهم فور عصيانهم وكفرهم، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾(النحل:٦١)، فالآية وإن كان ظاهرها التحذير من تمادي الكافرين في كفرهم وعدم التوبة قبل غلق بابها سواء بمجيء الملائكة لقبض أرواحهم، أو إحضارهم للحساب أمام الله سبحانه، أو مجيء

بعض أشراط الساعة وهي خروج الشمس من مغربها(١)، فإن باطنها الرحمة بالمخاطبين؛ وذلك بإمهالهم لعلهم يدركون باب التوبة قبل غلقه، ومن هنا كانت مناسبة إضافة لفظ (الآيات) في قوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ لاسم الله (رب(الدال علىٰ التفضل والإنعام، دون لفظ الجلالة، وكأنه سبحانه يفتح بينه وبينهم فتحا ليلجوا إليه منه، وهذا محض رحمته بهم وحلمه عليهم، وفي إضافة اسمه لضمير المخاطب (ﷺ) (ربك)، تعريضا بهم واستنزالا لطائر نفورهم كي يقبلوا علىٰ التوبة قبل فوات وقتها، فالجمع بين كلا الإضافتين في سياق واحد يعد من الجمع بين الترهيب والترغيب، والوعد والوعيد.

٢- قال تعالىٰ:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ * كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ * كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ (الأنفال:٥٠- ٥٤)

يلاحظ في هذا السياق القرآني أنه أضاف لفظ (الآيات) للفظ الجلالة مرة، ومرة لاسم الله (رب) مع تقارب في مضمون معنىٰ الآيتين وسياق نظمهما، وعند إمعان

(١) عن عبد الله ابن عمرو قال قال النبي (ﷺ): (إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة علىٰ الناس ضُحىٰ، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرىٰ علىٰ إثرها قريبًا منها). شرح صحيح البخاري لابن بطال،١٠/ ٦٣

النظر يتبين أن لكلا الإضافتين مدلولا يتناسب مع سياق كل آية وعلاقتها بما قبلها، فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، يناسب ما جاء قبل تلك الآية من بيان قدرة الله علىٰ كفار قريش وإحكام قبضته عليهم حال احتضارهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾، فكاف التشبيه التي استهلت بها الآية « في محل رفع علىٰ الخبرية لمبتدأ محذوف، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون والذين من قبلهم، والمعنىٰ: أنه جوزي هؤلاء كما جوزي أولئك، فكانت العادة في عذاب هؤلاء كالعادة الماضية لله في تعذيب طوائف الكفر، وجملة: ﴿بآيات الله﴾ مفسرة لدأب آل فرعون، أي: دأبهم هذا هو أنهم كفروا بآيات الله، فتسبب عن كفرهم أخذ الله سبحانه لهم »(١)، فأبان بكاف التشبيه عن سوء عاقبة الفريقين المسبَّبَة عن سوء فعلهم وهو كفرهم بآيات الله، وأفاد بإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في هذا السياق بيان قدرة الله وانتقامه ممن ازدرىٰ تلك الآيات وسيطرته عليهم حال أخذهم وعقابهم؛ لأنهم لما غفلوا عن عظمة الخالق البادية من آياته، أراد أن يريهم تلك العظمة عند مؤاخذتهم، وفي تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ مناسبة لهذا المعنىٰ ومؤكد له.

أما عن إضافة لفظ (الآيات) لاسم الله (رب) الدال علىٰ التفضل بالآلاء والإنعام، في قوله: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾، فجاء أيضا مناسب لما قبله

(١) فتح القدير ٢/ ٣٦٣

وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾؛ أي: أن الله لا يبتدئ أحدا بالعذاب والمضرة وإنما يتجلىٰ عليهم بألوان النعم وتسهيل السبل، فإذا ما قابلوا تلك النعم بالكفر وعدم الشكر فقد بدلوا نعمة الله عليهم، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن(١)، فالكاف في قوله: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ «متعلقة بقوله حتىٰ يغيروا، وهذا التكرير هو لمعنىٰ ليس للأول، إذ الأول دأب في أن هلكوا لما كفروا، وهذا الثاني دأب في أن لم تُغير نعمتهم حتىٰ غيروا ما بأنفسهم» (٢)، فالكاف هنا لتشبيه حال مشركي مكة بحال آل فرعون ومن قبلهم في مقابلة نعم الله بكفرها وعدم أداء شكرها، وهذا يتناسب مع إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) الدال علىٰ كمال عنايته بخلقه وتفضله عليهم بنعمه، وفيما يلي إشارة لما ذكره كبار المفسرين في دلالة الإضافة في كلا الآيتين، من ذلك قول الإمام الفخر الرازي: « أن الكلام الأول هو قوله: كفروا بآيات الله والكلام الثاني هو قوله: كذبوا بآيات ربهم، فالأول إشارة إلىٰ أنهم أنكروا الدلائل الإلهية، والثاني إشارة إلىٰ أنه سبحانه رباهم وأنعم عليهم بالوجوه الكثيرة، فأنكروا دلائل التربية والإحسان مع كثرتها وتواليها عليهم، فكان الأثر اللازم من الأول هو الأخذ، والأثر اللازم من الثاني هو الإهلاك والإغراق، وذلك يدل علىٰ أن لكفران النعمة أثرا عظيما في حصول الهلاك والبوار»(٣).

وذكر ابن عاشور في اختلاف المضاف إليه في الآيتين قائلا: «وذكر وصف الربوبية هنا دون الاسم العلم لزيادة تفظيع تكذيبهم؛ لأن الاجتراء علىٰ الله مع ملاحظة كونه

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب لفخر الرازي ١٥/ ٤٩٦ بتصرف

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤١

(٣) مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٩٦

ربا للمجترئ، يزيد جراءته قبحا لإشعاره بأنها جراءة في موضع الشكر، لأن الرب يستحق الشكر»(١).

كما ذكر البيضاوي أن الآية الثانية «تكرير للتأكيد، ولما نيط به من الدلالة علىٰ كفران النعم بقوله: بآيات ربهم، وبيان ما أخذ به آل فرعون، وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به، والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم» (٢).

٣- قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ * وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ * يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ * وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ * مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ * هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ (الجاثية:٥- ١١).

بعدما استهلت سورة الجاثية بالتنويه بكتاب الله الذي أيد به نبيه (ﷺ)، وبتعداد بعض آياته الكونية التي ضمَّنها هذا الكون،- من خلق سمائه وأرضه وما بث فيهما من دابة، ومن تعاقب الليل والنهار وإنزال المطر الذي هو مصدر رزق الخلائق، وتصريف الرياح بأنواعها،- أشار هنا إلىٰ أن تلك الآيات القرآنية والكونية سبيل لمن أراد أن يدرك شيئا من عظمة الخالق سبحانه، ويوقن بأنه الإله المستحق للعبادة دون سواه، فإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أفاد الدلالة علىٰ عظمة وجلال تلك الآيات والحث علىٰ التفكر في دقة

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٤٦

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥٤١

إحكامها؛ لأنها سبيل للوصول إلىٰ معرفة جلال الخالق سبحانه، وقد أشار إليها بما يشار للبعيد تأكيدا علىٰ بُعد مرامي شرفها وجلال قدرها،ويلاحظ أن هذه الجملة تكررت في كتاب الله في ثلاث مواطن،الأول: جاءت للتنويه علىٰ عظمة الخالق وتدبيره لشؤون هذا الكون ونصرته للحق علىٰ الباطل(١)،الثاني: جاءت للتنويه بالكتاب العزيز ودحضه لأكاذيب أهل الكتاب(٢)،بينما جمعت في هذا الموطن بين كلا المعنيين: التنويه بالآيات الكونية والآيات القرآنية،ويؤكد هذا التعقيب بقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، فالاستفهام هنا أفاد التعجيب ممن تَطْرُق أذانه آيات الله وتلوح أمام عينيه آياته الكونية ولم يعرها عقلا يتدبر وقلبا يتأمل؛ لأنه إذ لم ينتفع ويهتد بأنواع تلك الآيات فلا رجاء في اهتدائه ولا سبيل لإيمانه، وتكرار لفظ الجلالة وإعادة لفظ (آيات) مضافة لضميره ﷻ في قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ تأكيد لدلالة التعجب من إعراضهم عن تلك الآيات الكونية الكاشفة عن قدرته وعظمته واستحقاقه للعبادة دون سواه، فسياق تعدد الآيات في مستهل السورة ليس غرضه تعداد نعم الله علىٰ العباد وإلا كان الأولىٰ إضافة لفظ الآيات للفظ (رب) الدال علىٰ هذا المعنىٰ، وإنما الغرض من تعداد تلك الآيات هو الاستدلال علىٰ عظمة وجلال صنع الله الذي أتقن كل شيء دلالة علىٰ عظمته سبحانه.

---

(١) قوله:﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (البقرة:٥٨)

(٢) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:١٠٨)

انتقل لبيان مصير من تقرع أذانه آيات الله ﷻ ثم يُصِّر علىٰ حالة الكبر التي كان عليها قبل سماعها، فقال: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ * يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ * وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ * مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾،فأفاد بالمضارع تجدد سماعه لآيات الله ووعيه لما فيها ومع ذلك يصر علىٰ حاله من التكبر والاستهزاء،كما أبان بإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾، عن مدىٰ سفاهة وبلاهة عقول من يسمع تلك الآيات ثم يصر علىٰ عناده وتكبره،وهذا أيضا تمهيد لبيان قدرة الحق سبحانه وكمال سطوته علىٰ هؤلاء الذين خاضوا في آياته واتخذوها هزوا، وقد تحدثت الآيات عن عدة أنواع من العذاب الذي أعده الله لهؤلاء، بدأ بقوله: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾، وقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ ، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

ذكر الإمام الرازي في فائدة إرداف العذاب العظيم بالعذاب المهين أن «كون العذاب مهينا يدل علىٰ حصول الإهانة مع العذاب، وكونه عظيما يدل علىٰ كونه بالغا إلىٰ أقصىٰ الغايات في كونه ضررا»(١)، بينما يرىٰ ابن عاشور أنه « أردف ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ بعطف ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾؛ لإفادة أن لهم عذابا غير ذلك، وهو عذاب الدنيا بالقتل والأسر، فالعذاب الذي في قوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾﴿ غير العذاب الذي في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ »(٢).

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٦٧٢

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ٣٣٤

ختمت تلك الآيات بقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾، فتعد تذييلا لما سبق بيانه من التنويه بكتاب الله ومصير من أعرض عنه، ولكنه عدل هنا من إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة لإضافته للفظ (رب)؛ لبيان معنىٰ التفضل والتكرم من الله علىٰ المخاطبين بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأولىٰ لهم أن يقدروا هذه النعمة بالإقبال علىٰ سماع آياته ويتدبروا مرادها، ثم أضاف لما سبق من وعيدهم علىٰ كفرهم بتلك الآيات وصف عذابهم بأنه عذاب من رجز أليم، «وهو أشد العذاب»(١).

ختمت السورة بقوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ * ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الجاثية:٣٤- ٣٥).

هذه الآية من رد عجز السورة علىٰ صدرها؛ لأنه لما استهل السورة بالتنويه بآيات الله التي أيد الله بها صدق نبيه ﷺ، والتنبيه علىٰ الآيات الكونية الدالة علىٰ عظمة خالقها والتي سخرها لخدمة بني البشر، ختم السورة ببيان سوء عاقبة من أعرض عن آيات الله ولم يُعِرها فكره وتدبره، واستعلىٰ عليها بالسخرية والاستهزاء، فصرحت بسوء منقلبهم يوم الحساب وهو: الإهمال وعدم الاعتناء والخلود في العذاب، فإضافة لفظة (الآيات) للفظ الجلالة في قوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾- والتي هي «لفظ جامع لآيات القرآن وللأدلة التي نصبها الله تعالىٰ لينظر فيها العباد»(٢)- أفاد تعليل استحقاقهم لهذا الجزاء الذي توعدهم به لأجل عدم استحضار عظمة الخالق

(١) السابق ٢٥/ ٣٣٤

(٢) المحرر الوجيز ابن عطية٥/ ٩٠

التي تبدو من جلال آياته، كما تبدو من آياته الكونية الدالة علىٰ عظمته وبسط سلطان قدرته علىٰ هذا الكون بما فيه، فالقادر علىٰ هذا الكون قاد علىٰ إحكام سيطرته وهيمنته علىٰ هؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا وتجرؤا علىٰ الله وآياته بالكفر والاستهزاء.

الخاتمة

الحمد لله الذي أودع كتابه أسرارا لا منتهىٰ لحصرها، وجعل التدبر بابا يولج منه لفتق شيء من أكمامها، والصلاة والسلام علىٰ خير البرية سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

بعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب كتاب الله الذي لا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، والذي إذا ما زدته نظرا وتدبرا زادك أنسا وطربا، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة:

١- مناسبة إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة وإضافته للفظ (رب) لجميع السياقات التي وردت فيها كلتا الإضافتين، وإن كان في بعضها عدول عن أصل دلالة لفظ الجلالة ولفظ (رب)، إلا أن وراء هذا العدول سر كشفت الدراسة عنه.

٢-اختصت إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في السياقات التي تسعىٰ لإثبات عظمة وجلال تلك الآيات التي هي دليل عظمة الخالق سبحانه، وكذا بالسياقات التي تكشف عن قدرة الله وإحكام سيطرته علىٰ كل شيء، بينما اختصت إضافة لفظ الآيات لاسمه (رب) بالكشف عن سعة رحمته وتفضله علىٰ عباده، وفي الجمع بينهما في سياق واحد جمع بين الترهيب والترغيب.

٣- تنوعت دلالة إضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في سياق خطاب النبي ﷺ، فمنها ما جاء بغرض تثبيته وأصحابه علىٰ ما أوحي إليه، ومنها ما كان غرضه التنويه بتلك الآيات ودورها في الكشف عن أكاذيب أهل الكتاب ورغبتهم في صدهم عن الإسلام.

٤-كما تنوعت أغراض الإضافة في سياق خطاب المؤمنين، فمنها ما جاء بغرض التحذير من مخالفة مراد الله، أو الإرشاد لأمر ربما غفلوا عنه تجاه آياته، أو الحض

علىٰ ملازمة ذكرها ودوام تلاوتها، بينما جاءت تلك الإضافة في سياق خطاب المشركين بغرض توعدهم من مغبة كفرهم بها وإقامة الحجة عليهم.

٥-انفردت سورة آل عمران من بين سور القرآن بإضافة لفظ (الآيات) للفظ الجلالة في عشر مواضع، جاء أغلبها في سياق الحديث عن أهل الكتاب، بينما انفردت سورة غافر أيضا بإضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في ستة مواضع جاءت جميعها في سياق خطاب المشركين الذين يجادلون في آيات الله.

٦- ورود إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) علىٰ لسان الكافرين حال تعذيبهم كان غرضه إظهار التندم والتحسر علىٰ تفريطهم فيها.

توصية

كثر ورود إضافة لفظ الآيات في كتاب الله عز وجل للضمائر العائدة علىٰ الخالق سبحانه، ومن الممكن أن تفرد بدراسة مستقلة تكشف عن سر تنوع تلك الإضافات في سياقاتها التي وردت فيها.

وبعد

فأسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه وأن يتجاوز عما حاد عنه الفكر، وزل به القلم، وصل اللهم وسلم علىٰ سيدنا ومولانا محمد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢- إعراب القرآن وبيانه،لمحيي الدين بن أحمد درويش،دار الإرشاد للشئون الجامعية (حمص – سورية) الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت) الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٨ ه.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل– بيروت الطبعة: الثالثة

٥- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حبنكة، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت الطابعة الأولىٰ ١٤١٦ – ١٩٩٦.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤.

٨- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين، الطابعة الأولىٰ ١٤٠١ه ١٩٨١م، دار الفكر (لبنان– بيروت).

٩- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ

١٠- دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في (توظيف اللغة(، د عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطابعة الأولىٰ ١٤١٧ه، ١٩٩٦م.

١١- شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد (السعودية، الرياض) الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٢- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب (دمشق، بيروت) الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٤ هـ.

١٣- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، لمحمد بن أبَّ القلّاوي شرح الشيخ: أحمد بن عمر الحازمي،الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠

١٤- الفروق اللغوية، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

١٥- فيض الباري علىٰ صحيح البخاري لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

١٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الشيخ عادل أحمد

عبد الجواد، الشيخ علىٰ محمد معوض، أ.د فتحي حجازي، مكتبة العبيكان (الرياض) الطابعة الأولىٰ ١٤١٨ه- ١٩٩٨م

١٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ ه.

١٨- مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني،مكتَبة المَعارف للنَّشْر، (الرياض) الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م

١٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه: يوسف علي بديوي، راجعه: محيي الدين ديب مستو: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

٢٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفىٰ / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٢١- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي بتصرف دار الكتاب الإسلامي القاهرة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢١١
مدخل للموضوع	٢١٤
المبحث الأول: إضافة لفظ (الآيات للفظ الجلالة	٢٢١
المطلب الأول إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب النبي ﷺ	٢٢١
المطلب الثاني إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق خطاب المؤمنين والمؤمنات.	٢٣٠
المطلب الثالث إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق الحديث عن المشركين	٢٤١
المطلب الرابع إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة في سياق الحديث عن أهل الكتاب	٢٥٥
المبحث الثاني: إضافة لفظ الآيات للاسم (رب)	٢٧٠
المطلب الأول إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) في سياق الحديث عن المؤمنين	٢٧٠
المطلب الثاني إضافة لفظ الآيات لاسم الله (رب) في سياق خطاب المشركين	٢٧٤
المبحث الثالث: اجتماع إضافة لفظ الآيات للفظ الجلالة مع إضافته للفظ رب في سياق واحد	٢٨٤
الخاتمة	٢٩٤
فهرس المصادر والمراجع	٢٩٦
فهرس الموضوعات	٢٩٩